جامعة كمبردج

إسرائيل وأفريقيا: العلاقات العسكرية و الاستخباراتية

أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ

تحت إشراف البروفسور (كريستوفر اندرو)

نوفمبر 2000

رونين برجمان

هذه الأطروحة تغطي فقط إفريقيا تحت الصحراء ولم تتناول العلاقات مع دول شمال إفريقيا وهي نوع مختلف تماما من العلاقات يحتاج إلى دراسة منفصلة. وسيتطرق هذا البحث إلى مصر وليبيا فقط فيما يتعلق بالصدام بينهما وبين إسرائيل على القضايا الإفريقية والمحاولات المتبادلة من كلاً من الطرفين الإضرار بموقف الطرف الأخر بالقارة.

العلاقات العسكرية والاستخباراتية بين إسرائيل والدول الناشئة حديثاً

يمكن ان تقسم إلى ثلاث فترات زمنية مميزة.

الأولى من 1956 إلى 1974

الثانية من 1974 إلى 1990

الثالثة من 1991 إلى اليوم (2000)

الفروق في طبيعة العلاقات بين المراحل تنبع من التغيرات في التطورات السياسية الإسرائيلية الداخلية والشرق أوسطية و الدولية.

رونين برجمان مواليد 1972م
من كبار المحللين السياسيين و العسكريين لصحيفة ايدعنوت احرانوت، أكثر الصحف الاسرائيلية توزيعا له عدة كتب، و تنشر له الصحف العالمية مثل وول ستريت جورنال و نيويورك تايمز و مجلة فورن افيرز و مجلة نيوزويك في امريكا و الخارديان و التايمز في بريطانيا و فرنكفورتر القمينا تزاينونج و زود دوتشه تزايتونج من كبريات الصحف الالمانية

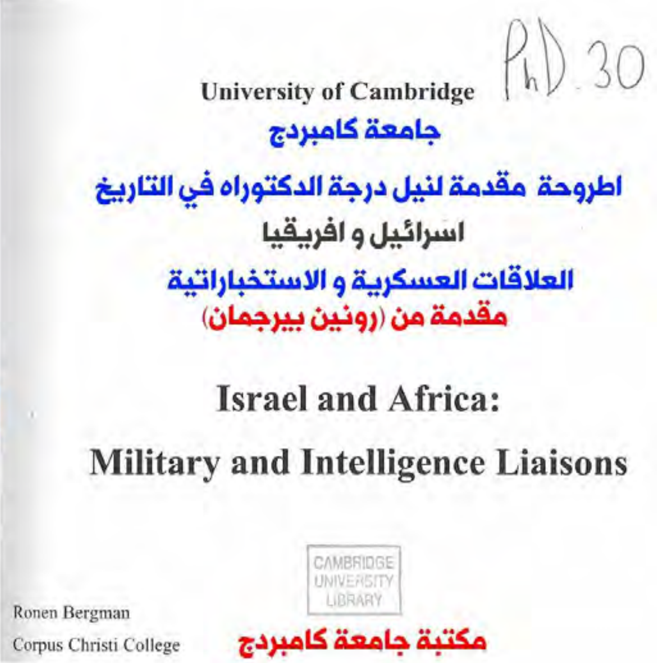

PhD 30

University of Cambridge

جامعة كامبردج

اطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ

اسرائيل و افريقيا

العلاقات العسكرية و الاستخباراتية

مقدمة من (رونين بيرجمان)

Israel and Africa:

Military and Intelligence Liaisons

Ronen Bergman

Corpus Christi College

CAMBRIDGE UNIVERSITY LIBRARY

مكتبة جامعة كامبردج

ترجمة حسين اللموشي

الفصل السادس: التدخل الاسرائيلي في أوغندا

يبدو أنه ليس ثمّة مثال يُبرز مكامن القوة ومظاهر الفشل في الحملة العسكرية والاستخباراتية الإسرائيلية بأفريقيا السوداء، أوضَحَ من تدخُّلها في أوغندا (العملية ليرا LIRA). 403
هذا التدخل الذي بلغ ذروته مطلع سبعينيات القرن الماضي، و هو تدخل يكشف من جهة عمق الاختراق الإسرائيلي، والدور الحاسم الذي لعبه في الأحداث الكبرى التي مرت بالبلد، والفوائد التي جنتها إسرائيل. ومن جهة أخرى، يبين ان إسرائيل كدولةٍ براغماتية حدّ التوحّش، تُمارس سياسة "الغاية تبرّر الوسيلة"، تحرّكها دوافع و افعال مشكوك في أخلاقيتها. و لا تحكمها منظومة واضحة للضوابط والتوازنات، و لا تتردّد في التدخّل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى، و قد شقت إسرائيل طريقها في أوغندا متعاونة مع قتلة ساديّين لا يخفون على احد.

بدايات التعاون العسكري

منذ أيامه الأولى كأول رئيس وزراء لأوغندا المستقلة، كان (ميلتون اوبوتي) يهدف إلى تعزيز جيشه من أجل تقوية إدارته. وقد طلب المساعدة من إسرائيل.404 اختتم (اوبوتي) زيارته لإسرائيل بعقد دفاعي ترتب عليه فتح مكتب ارتباط عسكري اسرائيلي في كمبالا. كانت لأوغندا آنذاك أهمية استراتيجية معيّنة بالنسبة لإسرائيل، شملت التواجد عند منابع نهر النيل المصري،405 إلى جانب القرب من السودان ومن مؤخرة إثيوبيا، مما يعزز معنويا الوجود الاسرائيلي في القرن الأفريقي. وصلت أول بعثة من الضباط الأوغنديين إلى إسرائيل للتدريب في 15 يناير 1963. 406

هوامش

[403] العقيد (م. أميت) ، ضابط الإنشاءات الرئيسي، سلاح الجو الإسرائيلي إلى فرع الطيران 5، سلاح الجو الإسرائيلي، 10.12.1964، IDFA 351/67-136 [[سرّي]

[404] (دورون روزنبلوم) ، *دافار*، 29 يناير 1971.

[405] أنشأ فريق تدريب المشاة عملياته في القاعدة العسكرية في ضاحية (جينجا). لم يقع الاختيار على هذا الموقع القريب من مصدر النيل قرب بحيرة فيكتوريا مصادفةً. إذ كان يوجد في السد ممثّل مصري دائم يراقب تدفّق المياه إلى مصر. وكان مجرّد أي إشارة لتحرّك يمسّ أهم المصالح القومية المصرية كافيًا لاعتباره إنذارًا أحمر كبيرًا—وهو تمامًا ما أرادته إسرائيل (مقابلة مع بار-سيفر).

[406] (أ. عوفري) ، سفارة كمبالا إلى (ج. رفايل)، مدير عام الخارجية، 25.6.1971، ISA 4551/23 [سرّي]؛ (يوري دان)، *معاريف*، 24 يوليو 1963.

الصفحة 112

طوال النصف الثاني من عقد الستينيات، واصلت إسرائيل تلبية احتياجات أوغندا من التدريب العسكري والاستخباراتي وبيعها المعدات والأسلحة،[407] فيما كان كبار المسؤولين العسكريين الأوغنديين يتوافدون على إسرائيل للمفاوضات وحضور الدورات التدريبية.[408]

كما قدّمت إسرائيل فريقًا قتاليًا من وحداتها الميدانية المتمرسة لتدريب القوات الخاصة في الجيش الأوغندي،[409] وهي القوات التي شكّلت النواة التأسيسية لقوات حرس الحدود الأوغندية لاحقًا. كما ارسل عدد من ضباط سلاح الجو الإسرائيلي إلى أوغندا لوضع برنامج شامل لتأسيس جناح جوي محلي، يأخذ في الحسبان احتياجات الدولة دون أن يغفل المكاسب الاقتصادية الإسرائيلية.[410]

ومُنذ عام 1965 ، أخذت العلاقات بين الموساد وأجهزة الأمن الأوغندية الناشئة منحىً بالغ الخصوصية والعمق. فقد كان رئيس فرع الموساد المحلي آنذاك، (حاييم تسفاتي) (خليفة الممثل الأول داني مور)، مفوّضًا بالعمل نيابة عن قسم العلاقات الخارجية للموساد وكافة تشكيلاته التنفيذية. وبعلم وموافقة السلطات الأوغندية، اخترقت وحدة العمليات التابعة للموساد مبنى السفارة المصرية، ونجحت في الاستيلاء على كميات ضخمة من الوثائق السرية وكتب الشفرات.[411]

ويعلق يوري لوبراني على ذلك قائلاً:

«لا ريب في أن وجودنا العسكري في أو غندا عَظّمَ من رصيد إسرائيل السياسي تعظيمًا هائلًا، ليس في الشأن العسكري فحسب، بل في أي حقل ترغب في اقتحامه».[412]

هوامش

[407] بدأ الدعم العسكري الإسرائيلي لأوغندا عام 1964، وشمل دورات للضباط ("تشري 1" و"تشري 2")، دورة طيران، دورة ضباط لمدافع الهاون 120 مم (بموجب الاتفاق مع الحكومة الأوغندية—تم شراء مدافع الهاون 120 مم من "سولتام")، ودورات أسلحة لمختلف الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، و دورة ميكانيكي مركبات، ودورة فني اتصالات (مذكرة وزارة الدفاع بعنوان "بعثة جيش الدفاع الاسرائيلي إلى أوغندا"، 27.10.1964، IDFA 50/67-97 [سرّي]).

[408] مقدم (ز. تسلينر)، وحدة المساعدة والاتصالات الخارجية إلى العقيد (ن. كاري) بعنوان "ملخص الاجتماع بخصوص معدات إضافية لـ (تارنيجو) [تسمية أخرى لبعثة جيش الدفاع الإسرائيلي إلى أوغندا]"؛ 10.1.1964، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي 1665/92-584 [سري]؛ مذكرة وزارة الدفاع بعنوان "زيارة وفد من القوات المسلحة الأوغندية...[غير مقروء]"، بدون تاريخ، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي 1665/92-532 [سري للغاية]؛ القيادة العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي إلى وحدة المساعدة والاتصالات الخارجية بعنوان "زيارة وفد الجيش الأوغندي"، سبتمبر 1966، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي 1665/92-532 [سري للغاية]؛ العقيد (ي. بار-سيفير)، رئيس بعثة جيش الدفاع الإسرائيلي في أوغندا إلى المقدم (ز. تسلينر)، وحدة المساعدة والاتصالات الخارجية، 24.5.1966، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي 1665/92-567 [غير سري]؛ الرائد (ز. بيرلتسهايمر)، أمان، هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي إلى العقيد (ن. كاري)، وحدة المساعدة والاتصالات الخارجية بعنوان "جولة الرائد (د. بوغارا)، الطبيب الرئيسي للجيش الأوغندي في إسرائيل"، 25.9.1966، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي 1665/92-531 [محدود، عاجل]؛ مقابلة مع (زئيف بار -سيفير).

[409] مقابلة مع (يوري لوبراني).

[410] المصدر نفسه.

[411] مقابلة مع CS 49 ((رفض (تسفاتي) التعليق)

الصفحة 113

كان هناك جانب آخر للنشاط العسكري الإسرائيلي. فبحسب (لوبراني): "كانت وزارة الدفاع في إسرائيل تضغط علينا باستمرار لنبيع، نبيع، ثم نبيع."413 يقول **(زئيف بار-سيفر)**، رئيس البعثة العسكرية:

كان الأمر بسيطًا للغاية. كنتُ أبرم اتفاقًا مع الأوغنديين حول ما يحتاجونه، وأرسل برقية إلى إسرائيل أقول فيها: 'أرسلوا هذا العدد من المدافع أو قذائف الهاون، أو 5000 زيّ عسكري'.414

ويضيف (لوبراني) أنه رغم معرفته بأعمال الذبح الوحشية التي ارتُكبت برعاية النظام (مثل قتل عدة آلاف من قبيلة (البانتو)، قبيلة الملك المنفي (كباكا)، فإن ذلك لم يغيّر موقفه من عمله:

كان لديّ مهمة هناك، كنت ملتزمًا بها: على هذا السفير أن يمنع تلك الدولة من الانزلاق إلى المعسكر الموالي للعرب، قاطعة . أمّا باقي الأمور فكانت هامشية وأقل أهمية بكثير.415

شهدت تلك الفترة نشاطًا موسعًا للموساد في أوغندا، تمثّل في تبادل منتظم للمعلومات مع الأجهزة الأمنية المحلية، وتنظيم سلسلة طويلة من الدورات التدريبية في إسرائيل للكوادر الأوغندية، شملت تدريبًا وظيفيًا ونقل معارف أمنية متخصّصة. وبالتوازي مع ذلك، أقامت الشرطة الإسرائيلية بعثة دائمة في كمبالا.[416] كما انخرطت الشركات الاقتصادية والتجارية الإسرائيلية في مشاريع إنشاء مجمعات سكنية وتمهيد طرق.[417]

هوامش

[412] مقابلة مع (يوري لوبراني).

[413] المصدر نفسه.

[414] مقابلة مع (زئيف بار-سيفر).

[415] مقابلة مع (يوري لوبراني).

[416] (بار-جيورا) ، الموساد إلى الخارجية، 24.3.1971، ISA 4551/12 [سرّي، عاجل].

[417] (أ. عوفري)، سفارة كمبالا إلى (ج. رفايل)، 25.6.1971، ISA 4551/23 [سرّي]

واعترفت وزارة الخارجية بمحاولتها — ولو جزئيًا — تعويض الضخامة العسكرية بمساعدات مدنية،[418] لكن جوهر العلاقات بقي عسكريًا واستخباريًا بوضوح.[419]

القوات الجوية الإسرائيلية في أوغندا

وحَلَّ طموح أوغندا في تأسيس قوة جوية وطنية إشكاليةً واجهتها القوات الإسرائيلية. إذ تلقت البعثة الكبيرة التابعة لسلاح الجو الإسرائيلي في تنجانيقا [التي تشكل مع زنجبار دولة تنزانيا الحالية .. المترجم] أمرًا بالإخلاء الفوري عقب انقلاب دعمته جمهورية الصين الشعبية. وبدلاً من إعادة كل الطائرات والمعدات باهظة الثمن إلى إسرائيل، أُعيد نشرها في أوغندا[420] تحت الاسم الرمزي عملية (مَسْمِر MASMER) [421]، مع اتخاذ أقصى إجراءات التكتم.[422]

نواة سلاح الجو الأوغندي تشكلت عدد قليل من الطيارين سبق تأهيلهم في إسرائيل عام 1963.[423] ويُعلّق العقيد (أمنون هليفني)، رئيس بعثة سلاح الجو الإسرائيلي، قائلاً:

"صُمم برنامج تجهيز السلاح الجوّي الأوغندي من الأساس ليربطهم برابط التبعية لإمدادات العتاد الإسرائيلية."[424]

الهوامش :

[418] أرسلت إسرائيل إلى أوغندا خبراء في مجالات مختلفة مثل الزراعة، والطب، والشباب، والمالية، والضرائب، والتخطيط، كما استقبلت مئات الأوغنديين للتدريب. مدير عام وزارة الخارجية إلى وزارة الخزانة، 26.3.1972، ISA 5298/5 [سري للغاية].

[419] (م. ميخائيل) سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية ووزارة الدفاع، 12.1.1965، IDFA 1665/42-584 [سري للغاية]

[420] العقيد (ي. تسيدون)، قائد فرع الطيران 2 في سلاح الجو الإسرائيلي إلى العقيد (يافني)، 23.9.1964، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي 351/67-133 [سري]؛ مذكرة سلاح الجو الإسرائيلي بعنوان "مسح لتأسيس القوات الجوية الأوغندية"، بدون تاريخ، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي 351/67-133، [سري]؛ مقابلة مع (زئيف بار-سيفر). راجع العقد بين حكومتي أوغندا وقوة النخبة الإسرائيلية في (م. شاحام)، كامبالا إلى رئيس قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 21.9.1964، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي 351/67-133 [سري للغاية، عاجل جدًا، لاطلاع الموجه إليهم فقط].

[421] كلمة "MASMER" تعني بالعبرية "مِسمار". المصدر: (ح. سابير) ، ضابط الأمن الرئيسي في سلاح الجو، إلى قائد سلاح الجو، 14.9.1964، IDFA 366/68 [سرّي].

[422] على سبيل المثال، العملية (دانيال 12) في أمر العملية 64/70 [اسم محذوف] إلى الفرع الجوي 5، سلاح الجو الإسرائيلي، 12.13.1964، أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي 351/67-136 [سري، لاطلاع الموجه إليهم فقط].

[423] (يوري دان)، "شارات ضابط لـ 60 أفريقيًا"، *معاريف*، 24 يوليو 1963.

[424] إلى جانب برامج التدريب والتأهيل، ازداد حجم سلاح الجو الأوغندي عدديًا. ففي عام 1966، كان يشمل 12 طائرة "بايبر"، و4 طائرات "داكوتا"، و12 طائرة "فوجا ماجيستر"، بالإضافة إلى مدرسة طيران مجهزة جيدًا ومدرسة فنية وقد جُهِّزت الأخيرة بمقاطع عرضية لمحركات ووسائل تعليمية متقدمة أخرى أُحضرت من إسرائيل. قامت المدرسة بتدريب ثلاث تخصصات: ميكانيكا، وقادة طائرات نقل (داكوتا)، وطيارو قتال على طائرات الفوجا، الذين أكملوا دورة تدريبية عملياتية. وهكذا أصبحت القوات الجوية الأوغندية الوحيدة في أفريقيا جنوب الصحراء التي يقود فيها طيارون أفارقة طائرات نفاثة. (مقابلة مع (أ. هليفني)؛ (موشيه زاك)، معاريف، 1 يوليو 1966).

صفحة 115

كان الطيّارون الإسرائيليون يُستخدمون أيضاً "كسائقين" لكبار الوزراء الأوغنديين، وللضباط، وللرئيس. وعندما استولى الرئيس عيدي أمين على السلطة في أوغندا، استخدم الطيارين الإسرائيليين بشكل متكرر للسفر داخل البلاد وإلى دول أخرى.425

لقد استثمر سلاح الجو الإسرائيلي (IAF) قدراً كبيراً من الجهد في سلاح الجو الأوغندي — من حيث الموارد، والوقت، والأموال426 — كما تم تعيين ضباط ذوي رُتب عالية لهذه المهمة.427 و في ذروتها خلال أوائل السبعينيات، بلغ عديد بعثة سلاح الجو الإسرائيلي 42 فردا،428 في حين اقيمت بعض التدريبات الأكثر تعقيداً داخل إسرائيل.429

بداية العلاقات مع العقيد أمين

منذ الاتصال الأول تقريباً، أرسى مندوبو الجيش الإسرائيلي والموساد علاقات وديّة مع العقيد عيدي أمين، العريف السابق في الجيش البريطاني.430 كان أمين يدرك جيدا المنافع الشخصية التي يمكن أن يجنيها من هذه العلاقات، فاندفع بشغف للانضمام إليها.431 يقول رئيس بعثة الجيش الإسرائيلي في أوغندا، العقيد (زئيف بار-سيفر):

" كان هدفنا جليًا لا لبس فيه — أردنا توسيع النفوذ الإسرائيلي، لا سيّما في مبيعات المعدات العسكرية. ولم يكن تحقيق ذلك ممكناً إلا بالتخلص من البريطانيين من مراكز التأثير في المؤسسة العسكرية الأوغندية. كان واضحاً لنا أنه لا بد من إقصاء رئيس الأركان (جيمس أوبولوت) واستبداله بمعاونه، حليفنا عيدي أمين. كان (أوبولوت) ذو ولاءٍ مطلق لبريطانيا ، ونظرًا للعداء الصريح الذي أبدته المملكة المتحدة تجاه العلاقة الأوغندية– الإسرائيلية، فقد كان رئيس الأركان، في نهاية المطاف، يعرقل مساعينا."432

الهوامش:

[425] (ب. بارليف)، كمبالا إلى وزارة الخارجية، 17.1.1972، ISA 5298/7 [سري، عاجل]؛ كمبالا إلى وزارة الخارجية، 14.9.1971، ISA 4551/20 [سري، عاجل].

[426] نص موجز لتقارير واجتماعات، منها:
- محضر الإحاطة المقدّم للعقيد (ب. پيلِد) من العقيد (أ. هليفني)، 28.11.1967، IDFA 1648/89-222.
- (أ. ألرون) ، الصناعات الجوية الإسرائيلية إلى الرائد (هوتر–تشاي)... 8.7.1968، IDFA 1648/89-233 [سرّي].
- بعثة سلاح الجو في عنتيبي إلى مقرّ سلاح الجو، 2.1.1967...
- (ي. مور) إلى قيادة سلاح الجو، 6.1.1965، IFDA 351/67-137.
- تقرير شهري عن ديسمبر 1964 لبعثة سلاح الجو إلى أوغندا، 12.1.1965، IDFA 351/67-137.

[427] الرائد (ي. سيتون) — قيادة سلاح الجو، 1.10.1964، IDFA 351/67-133 [سرّي].

[428] العقيد (ي. بار-أون) ، مدير وحدة العلاقات الخارجية والمساعدة، إلى (أ. شلّوح)، نائب مدير عام الخارجية، 19.5.1970، ISA 4551/12 [سرّي].

[429] (أ. چينور)، المدير التجاري لشركة *بيدِك للطيران*، إلى (أ. أوفومبي)، الأمين العام لوزارة الدفاع الأوغندية، 21.4.1969، IDFA 1648/89-233.

[430] وفقًا لوثائق الاستخبارات الإسرائيلية، وُلد عيدي أمين في قرية صغيرة قرب (كوبوكو) في إقليم "غرب النيل". وفي عام 1946، و هو في عمر 18 عامًا، انضم إلى (كتيبة الملك الأفريقية – King's African Fusiliers) بصفة طباخ. وعلى عكس رواياته، لم يخدم مع تلك الكتيبة في (بورما)؛ لكنه شارك في القتال ضد الأفارقة خلال تمرد (الماو الماو) في كينيا خلال خمسينيات القرن الماضي. لقد جعلته صلابته وحماسه جنديًا ممتازًا، فترقى سريعًا من رتبة جندي إلى رئيس عرفاء وحدة. وعندما بدأت بريطانيا البحث عن "عناصر تتوفر فيها صفات" لتأهيلهم ضباط من أجل الجيش الأوغندي استعدادًا لاستقلال أوغندا، تم تجنيده. (يوسف راز)، "أوغندا أمين"، (دافار)، 30 مارس 1973؛ (كوكبيرن)، علاقات خطرة، ص 112؛ تقرير للموساد بعنوان "العقيد أمين"، 3.4.1968، PC (عُرض على المؤلف من قبل CS3 لكن لم يُسلَّم له) [سري للغاية]؛ مقابلة مع (لوبراني).

[431] العقيد (م. كاسپيت) ، قائد بعثة سلاح الجو في أوغندا إلى قيادة الجيش الاسرائيلي، 1.8.1966... مقابلة مع (زئيف بار-سيفر).

[432] أنظر الفصل "العلاقات الأنجلو–إسرائيلية بشأن أفريقيا". مقابلة مع (زئيف بار-سيفر).
كما ذكر (آريه عوديد) في مقابلة منفصلة، وهو أحد أعضاء السفارة الإسرائيلية حينها:
"البريطانيون لم يتوقفوا عن محاولة عرقلتنا ، سواء في المجال العسكري أو في محاولاتنا للحصول على العقود المدنية."

الصفحة 116

حبذ رئيس الوزراء (ميلتون أوبوتي) مبادرة عيدي أمين — التي حظيت بتحريض البعثة الإسرائيلية — وأصدر أمرًا بعزل جيمس أوبولوت. وخلصت التقديرات الإسرائيلية لشخصية أمين إلى أنه يُقدِّر الصداقة والولاء إلى أبعد حد.433 وضربت إسرائيل مثلاً في الوفاء. فبحسب شهادة العقيد (زئيف بار-سيفر)، مدّت إسرائيل يد العون لرئيس الأركان الجديد أمين في إدارة حملة عسكرية ضد قبائل الجنوب وزعيمها التقليدي.434

وكما خُطِّط بالضبط، مثّل إبعاد (أوبولوت) عن منصب رئاسة الأركان نهاية الحقبة البريطانية في أوغندا.435 وسيطر الإسرائيليون بلا منازع على مفاصل الجيش الأوغندي. حتى أن أركان قيادة الجيش الإسرائيلي قدموا إلى أوغ ندا يستكشفون فرصًا جديدة لتصريف منتجات صناعتهم. وبالتوازي، حلّ ممثلو جهاز الشاباك والموساد في أوغندا لإعطاء دورات في "الامن المادي" (أمن المنشآت الحكومية)، وحراسة الشخصيات ، وأعمال التخريب، وتجميع المعلومات الاستخبارية.436

علاوة على ذلك، زوِّدت أوغندا بعشر دبابات من طراز شيرمان.437 ولم يغب أمين نفسه عن إسرائيل، إذ زارها مرارًا — غالبًا بناءً على طلبه — للعلاج.

هوامش

[433] (عوفري)، سفارة كمبالا إلى (شيموني)، مدير عام قسم أفريقيا في وزارة الخارجية، وإلى مقرّ الموساد، 26.2.1971، ISA 4551/31 [سرّي].

[434] وفقً ا لشهادته: "كان المدرّبون الإسرائيليون المنتشرون في وحدات الجيش الأوغندي يُبلغونني بتقارير عن درجة الولاء لكل من (أوبوتي) و أمين داخل القواعد العسكرية المهمة، وكنت أحوّلها بدوري إلى أمين. وذات مرة، تلقيتُ تقريرًا من عناصري في الكتيبة المرابطة في (موروتو)، يفيد أن حشودًا من أنصار الملك (كاباكا)، الرافضين للتنازل عن امتيازاتهم، تزحف من (بوغاندا) نحو كمبالا بغرض الانقلاب. وفي ذات اللحظة بالضبط، كنا نتفقد مع امين إحدى السرايا لإنهاء صفقة تجهيزات كاملة لجنود اوغنديين. فاستقبل الخبر ببرودة أعصاب. ثم أرسل أربع عربات جيب مسلحة برشاشات إلى كل مفترقات الطرق المؤدية الى (بوغاندا). كمنت العربات في الأدغال، لتَفتح على الحشود الزاحفة نيرانها المميتة. وبهذا اكتمل نصر (أوبوتي). "و فور تسليمنا التقرير لأمين، عُدنا إلى كمبالا. متخيلين ما كان على وشك الحدوث، ولم نرغب إطلاقًا في أن نتلطخ بالتورط فيه . أما أمين، فقد غمره الامتنان. فتوطّدت علاقتنا به كثيرًا، وصارت منذ ذلك الحين تشمَل دعواتٍ متكررة إلى منزله لمحادثات خاصة." (مقابلة مع زئيف بار-سيفر). [435] مقابلة مع (أدموني).

[436] كليمان، السيف ذو الحدّين، (تل أبيب: دار عم عوفيد، 1992)، ص 213.

[437] مقابلة مع (زئيف بار-سيفر).

الصفحة 117

إلى جانب السوق الجديدة الآخذة في التوسع في أوغندا، وجدت إسرائيل أيضاً نوعاً من "العزاء" في اعتراف عيدي أمين بها. وقد شكلت زيارة رئيس الوزراء (ليفي اشكول) عام 1968 إلى أوغندا، والتي حظيت بتغطية إعلامية واسعة، نوعا من التعويض عن الاستقبال الفاتر نسبيا الذي كان يلقاه الممثلون الإسرائيليون في دول أخرى.438 ومن جانبه، أعرب رئيس الوزراء (اشكول) عن ارتياحه العميق لمظاهر الحفاوة البالغة التي حظي بها، خاصة في تلك الفترة من العزلة الدولية الشديدة. إلا أن تلك النشوة بهذه العلاقة المشتراة حديثا لم تشمل الجميع؛ إذ يذكر الجنرال (يسرائيل ليئور)، السكرتير العسكري لاشكول، أن الزيارة تركت لديه "مشاعر مختلطة تجاه أفريقيا، وأكثر من ذلك تجاه الأفارقة".439

انطباع (ليئور) يرجع جزئيا الى سلوك عيدي أمين المتهور، و الى تعبيراته الصاخبة — إن لم نقل الخطيرة — عن الفرح، حينما اختار أن يلوّح برشاش (عوزي) اسرائيلي تلقاه هدية من الموساد، ثم "انفجر في صرخاتٍ جامحة من الفرح".440

تعاظم التحالف مع أمين

ازداد تورّط إسرائيل مع عيدي أمين عبر العقيد (باروخ بارليف)، الذي عُيّن ملحقاً عسكرياً للجيش الاسرائيلي في أوغندا في نهاية عام 1967. وقد نسج (بارليف) علاقات ممتازة مع عيدي أمين، ووفقاً لشهادات شهود عيان، كان له مساهمة كبيرة في صعود أمين إلى السلطة.441

هوامش

[438] أصرّ أمين على تولّي قيادة حرس الشرف بنفسه. انظر: (جدعون تسور)، صحيفة (معاريف)، 29 يناير 1971.

[439] (هابر)، "سوف تندلع الحرب يومًا ما: مذكّرات العميد (إسرائيل ليئور)" (Eidanim / Yedioth Ahronoth، 1987)، ص 93–98.

[440] المرجع السابق.

[441] وفقًا لرواية الرائد (ديفيد بن عوزيئيل)، الذي كان متمركزًا في أوغندا: "كان (بارليف) يعمل مستشارًا عسكريًا شخصيًا لعيدي امين أينما ذهب. فحين كان أمين نائبًا لرئيس الأركان، بدأ (بارليف) بتقديم الدعم له. ولولا (بارليف) لانتهى أمين سكيرًا متشردا في حي من احياء الصفيح في (كمبالا). لقد جاء إليه وأقنعه بأن يتوقف عن الكلام ويبدأ بالعمل، وقدّم له قائمة طويلة من النصائح حول كيفية التصرف. استمع أمين والتزم. وقد خفّف بدرجة كبيرة من كمية الكحول التي كان يشربها، وأعدّ قائمة تفصيلية بجميع مؤيديه المخلصين في كل وحدة من وحدات الجيش. أخذ أمين بنصيحة (بارليف) وأنشأ جهاز استخباراته الخاص، بمساعدة (الموساد) الإسرائيلي" (مقابلة مع (بن عوزيئيل)).

الصفحة 118

حرص (بارليف) وممثل الموساد (حاييم تسفاتي) على أن يبقيا الشخصين الوحيدَين المكلّفين بإدارة العلاقة مع عيدي أمين، قبل توليه السلطة وبعده. ولم يُسمح لأحد باقتحام دائرة اتصالهما.442

ونتيجةً لهذا القرب الحصري، صـ ار الاثنان المسؤولين المباشرَين عن المدفوعات الضخمة من الرشاوى التي كان أمين يتقاضاها آنذاك. فمنذ عام 1966 (على الأقل)، كانت إسرائيل تضخ مبالغ طائلة كرشلوي لعيدي

امين ومسؤولين أوغنديين آخرين، من أجل ضمان حصول الشركات الإسرائيلية على عقود في المجالين المد ني والعسكري. كما قامت شركة (سوليل بونه) الإسرائيلية للبناء، العاملة على نطاق واسع في أوغندا، ببناء فيلا لعيدي أمين بتمويل من الموساد.443 وقد كان المال يُنقل من إسرائيل في حقائب ذات جيوب سرية يحملها قائد بعثة سلاح الجو الإسرائيلي، ليسلّمها بدوره إلى قائد البعثة العسكرية الإسرائيلية (بارليف)، الذي يتولى توصيلها إلى عيدي أمين شخصيًا..444 على النقيض من منهجية تعامل ممثلي الموساد ووزارة الدفاع مع أمين، آثرت وزارة الخارجية التباعد عن هذه الممارسة، مؤكدةً موقفها بأن:

"السفير لن يتورط في عمليات تحويل أموال الرشوة. وسنُبلغ وزير الدفاع والرئيس أن إيداع الأموال سيكون حصراً في حساباتهم المصرفية. وسيتم الإجراء مباشرةً من قِبل وزير الدفاع في إسرائيل."445

بل ذهب السفير (لاؤور) إلى أبعد من ذلك، فأصرّ على ضرورة بذل كل الجهود لمنع تكريس التعامل بأموال الرشوة كإجراء روتيني، كي لا يتجذّر ويصير عادةً مؤسسية. وحذّر الشركات الإسرائيلية أن تتجنب استخدام بناء المنازل وسيلةً للرشوة، حتى لا تُخلّف وراءها "...نُصبًا تذكاريًا للفساد ... يُسهل إثبات ضلوعنا فيه".446

هوامش

[442] مقابلة مع (روتم) و (بيرلي).

[443] (د. لاؤور)، كمبالا إلى رئيس قسم أفريقيا، وزارة الخارجية، 24.2.1972، ISA 5298/4 [سري للغاية].

[444] مقابلة مع العقيد (هليفني). انظر أيضاً تحت بند: "الرشوة" في الوثائق الأخرى.

[445] (د. لاؤور) ، كمبالا إلى رئيس قسم أفريقيا في وزارة الخارجية، 24.2.1972، ISA 5298/4 [سري للغاية].

[446] (د. لاؤور) ، سفارة كمبالا إلى العميد احتياط (ز. تاؤور) (مساعد وزير الدفاع)، 10.2.1972، ISA 5298/4 [سري للغاية].

الصفحة 119

غير أن الرئيس (ميلتون أوبوتي) بدأ، اعتبارًا من عام 1969 ، ينحو منحىً سياسيًا أكثر يسارية، فاتخذ مسارًا يهدف إلى تآكل النفوذ العسكري الإسر ائيلي. أما تصويت أوغندا في المحافل الدولية — وهو بالأصل غير مؤاتٍ لإسرائيل — فقد أصبح أكثر عداءً مع مرور الوقت. 447

وبالتالي، فإن "الولاء" الذي تم بناؤه لخدمة (أوبوتي) عبر الدعم المقدّم لرئيس أركانه، بات لزاماً أن يتحول بالكامل نحو عيدي أمين وحده، من أجل ضمان استمرار وضع إسرائيل في أوغندا. وهكذا، نمت علاقات (بارليف) وممثلي إسرائيل الآخرين مع أمين على أسس استخباراتية وعسكرية أكثر متانة.

كان جميع ممثلي الجيش الاسرائيلي ووزارة الخارجية الإسرائيلية والموساد يدركون جيدا — منذ 1969 على الاقل — بأن الجنرال عيدي أمين يخطط للاستيلاء على السلطة في الدولة بأكملها. وكان يتباهى أمام الإسرائيليين قائلا أن "بوسعه حكم البلد في ساعة اذا اراد"، وأنه "يعرف تماماً من هم أعداؤه داخل الجيش، وهو مستعد لتصفيتهم عندما يحين الوقت".448

الجنرال أمين ساعد ممثلي الجيش الاسرائيلي والمو ساد في التخطيط لتعزيز الروابط العسكرية والاستخباراتية الثنائية، و كيفية تخطي المعوقات التي تعترض هذه الخطط. وكان القلق الشديد يعتري

ثلاثتهم جميعاً — الموساد، الجيش الاسرائيلي، و عيدي امين — من مسار الرئيس (أوبوتي).449 و جمعتهم رغبة اكيدة في ازاحته. وقد أقنع عيدي أمين الإسرائيليين بانه في حال تسلمه السلطة، سيرفع مستوى التعاون العسكري الى مستويات عالية.450 و هكذا أصبح الطريق الواجب اتباعه لتجاوز عقبة (أوبوتي) واضحاً الآن.

هوامش

[447] (أ. عوفري)، سفارة كمبالا إلى (ج. رفايل)، مدير عام وزارة الخارجية، 25.6.1971، ISA 4551/23 [سري].

[448] (أ. عوفري)، سفارة كمبالا إلى (شيموني) ، مدير قسم أفريقيا في وزارة الخارجية، وإلى الموساد، 26.2.1971، ISA 4551/31 [سري].

[449]

– (أ. عوفري) إلى مدير قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 17.4.1970، ISA 4551/12 [سري للغاية].

– مقابلة مع (يوآف بيرن).

– حول مواقف (أوبوتي)، انظر: (باركيف)، سفارة كمبالا إلى (بار–أون)، وزارة الدفاع، 16.1.1972، ISA 5298/14 [سري، عاجل].

– Christophe Phillippe Henry Carle, *Cuba and Israel in Sub-Saharan Africa Since the 1950's: The foreign Policies of Dependent States*, p. 68.

– حول إسهام عيدي أمين في تعطيل خطط (أوبوتي)، انظر مثلاً: (باركيف)، رئيس بعثة الجيش الاسرائيلي، كمبالا إلى (بارون) [على الأرجح بار-أون. المترجم]، وزارة الدفاع، 10.4.1970، ISA 4551/12 [سري للغاية، عاجل].

– تقرير (باركيف) بشأن اجتماع سري بينه وبين ممثل الموساد (تسفاتي) مع أمين، حيث أبلغهم الأخير بخطط (أوبوتي) لإعادة تقييم الوجود الإسرائيلي في أوغندا.

– لمزيد من المعلومات حول تعاون أمين مع جهود إسرائيل لتعزيز الروابط الأمنية، انظر: وزارة الخارجية إلى سفارة كمبالا، 14.4.1970، ISA 4551/12 [سري للغاية، عاجل، شخصي].

– (أ. عوفري) إلى رئيس قسم أفريقيا في وزارة الخارجية، 25.12.1970، ISA 4551/30 [سري للغاية].

– (باركيف)، رئيس بعثة الجيش الاسرائيلي، كمبالا إلى (براون) [على الأرجح بار-أون. المترجم]، وزارة الدفاع، 18.1.1971، ISA 4551/12 [سري].

[450] (ي. بن–شالوم) ، بعثة الشرطة الإسرائيلية إلى أوغندا، كمبالا إلى قسم أفريقيا في وزارة الخارجية، 4.2.1971، ISA 4551/31 [سري]. ومن اللافت ملاحظة تقدير وزارة الخارجية الإسرائيلية في ذلك الوقت، الذي أكد أن "النظام في أوغندا مستقر. لدى (أوبوتي) معارضون ولكن ليس له أعداء". راجع: مسح لوزارة الخارجية بعنوان "أوغندا، 1969"، ISA 4551/23 [سري].

الصفحة 120

إسرائيل وانقلاب أمين

عقب استيلاء الجنرال عيدي أمين على السلطة في أوغندا، اتّهم الرئيس (ميلتون اوبوتي) إسرائيل بالتورط الفعلي في الانقلاب الذي أطاح به، وكذلك في تمرد جنوب السودان.451 و سارعت وسائل الإعلام السوفيتية والعربية الى تبني هذه الرواية.452 و من جانبها نفت إسرائيل، بشدّة كلا الاتهامين.453 بيد انها، لم تكن بمنأى عن القلق من اتهامات الافارقة لها بالضلوع في انقلاب عيدي أمين.454 وقد اولت اهتماما خاصا

لدحض الاتهامات الصادرة عن كينيا. المبعوث الإسرائيلي في نيروبي ابرق إلى القدس: "إن الكينيين مقتنعون بأننا شاركنا في أحداث أوغندا، وهذا ألقى بظلال من الشك على أي تعاون عسكري مُحتمل مستقبلي بين كينيا وإسرائيل."455

عليه، أصدرت وزارة الخارجية تعليمات مشدَّدة: "يجب المُضي في نفي الاتهامات بتدخلنا في الشؤون الداخلية للدول الأفريقية."456 أما الموقف الرسمي الإسرائيلي فكان: "بالطبع لا صحة للزعم بتورطنا في الانقلاب، وهو زعم يُروِّجه خصوم عيدي أمين لتشويه بصورته وصورتنا."457 وقدّم ذات الإنكار للجنة الشؤون الخارجية البرلمانية في البرلمان الإسرائيلي.458

غير أن هذه الإنكارات — الواردة حتى في مذكرات داخلية مُوسومة بـ"للاستخدام الإسرائيلي فحسب" — كانت محضّ تمويه. فهذه الدراسة تخلص إلى أن إسرائيل حرَّضت على الانقلاب وساهمت في تخطيطه، ووفرت المشورة والمعلومات الاستخبارية للرئيس الجديد مع بداية عهده، وحشدت جهودًا استثنائية لحمل المجتمع الدولي على الاعتراف بنظامه.459

هوامش

[451] (جدعون تسار)، معاريف، 29 يناير 1971 ؛ انظر أيضاً نص مؤتمر صحفي للدكتور (أوبوتي) في دار السلام بتاريخ 12.2.1971 ، كما ورد في (ز. كاسبين)، سفارة دار السلام إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 17.2.1971، ISA 4551/31 [سري].

[452] إذاعة أوغندا، بيان بتاريخ 25.1.1971 ، كما ورد في تقرير المخابرات العسكرية الإسرائيلية (الوحدة 559)، ISA 4551/30.

[453] (ز. كاسبين)، سفارة دار السلام إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 14.4.1971، ISA 4552/9 [سرّي].

[454]

- (أ. عوديد) إلى نائب مدير قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 21.3.1971، ISA 4551/22.
- (أ. عوفري)، سفارة كمبالا إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 12.2.1971، ISA 4551/31 [سرّي].
- (أ. عوفري)، سفارة كمبالا إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 4.2.1971، ISA 4551/31 [سرّي].

[455] (أ. عوديد)، وزارة الخارجية، قسم أفريقيا، إلى السفير في نيروبي، 24.2.1971، ISA 4551/31 [سرّي]؛ (ر. دفني)، سفارة نيروبي إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 16.2.1971، ISA 4551/23 [سرّي].

[456] قسم أفريقيا في وزارة الخارجية إلى سفارة لوساكا، 24.2.1971، ISA 4551/31 [سرّي].

[457] قسم أفريقيا في وزارة الخارجية إلى عدة سفارات، 4.4.1972، ISA 5298/6 [سري، عاجل للغاية].

[458] محضر اجتماع لجنة الأمن والشؤون الخارجية في الكنيست، 18.7.1972، ISA 5309/15 [سري].

[459] حول التورط الإسرائيلي في جنوب السودان، انظر: "عملية MEZUZA" تحت بند "العمليات الرئيسية".

الصفحة 121

و بحسب شهادة (باريليف) التي ادلى بها عام 1990، فإنه هو من أنقذ الجنرال أمين من فخ نصبه له (أوبوتي) لاعتقاله عند عودته من أداء مناسك الحج في مكة ، ثم ساعده لاحقاً في التخطيط وتنفيذ انقلاب يناير 1971، 460 و ذلك اثر تزايد شكوك الرئيس (أوبوتي) في نوايا اركان قيادة الجيش المُدجَّج بأحدث العتاد.461 وعن

دورهُ أثناء الانقلاب، يتذكر (باريلف) " تعاونتُ معه [أمين] تعاونًا وثيقًا للغاية. وحشدتُ كل ما بوسعي من أجل إنجاحه."462

لا جديد في ذلك بالنسبة لأولئك الذين كانوا على اطلاع على المراسلات السرية وقت وقوع الاحداث. فالتقارير والبرقيات الصادرة عن وزارة الخارجية ووزارة الدفاع والموساد تحتوي على إشارات عديدة إلى التورّط الإسرائيلي في الانقلاب نفسه. فعلى سبيل المثال، أعربت وزارة الخارجية في القدس عن احتجاج شديد على تدخل الموساد والجيش الاسرائيلي في انقلاب عيدي أمين:

"لقد أبرقنا إليكم بالفعل تعليمات واضحة. لا — أكرر لا — تتدخلوا في التطورات الداخلية في أوغندا؛ التزموا بالوقوف موقف المتفرج، ولا تتخذوا خطوات تُظهر تأييدنا الصريح للثورة."463

لم تبال وزارة الدفاع ولا الموساد حتى بمجرد الردّ على هذا الاعتراض.464 وعلى النقيض، قدم ممثلو الموساد والجيش الاسرائيلي و وزارة الدفاع في كمبالا تقارير تصور الحدث على انه خلاص لأوغندا، جاء فيها: "... لم يُحتفى بأي حدث آخر في أوغندا بمثل هذه البهجة العارمة من قبل الشعب."465

هوامش

[460] انظر شهادة (باريلف) حول أوغندا في مقابلة مع (بني لنداو)، في ملحق *هآرتس*، 16.11.1990.

[461] استمرت الاشتباكات بالاسلحة في العاصمة الأوغندية لمدة 16 ساعة تقريباً. قُتل العشرات من الجنود والمدنيين. وواصلت قوات الرئيس المخلوع المقاومة في مناطق أخرى من البلاد. أما (أوبوتي) فقد فرّ إلى العاصمة التنزانية دار السلام، وبقي فيها.

[462] *هآرتس*، ملحق 16.11.1990. وكان (باريلف) أيضاً نشطاً للغاية في الشؤون الداخلية لأمين مباشرة بعد الانقلاب.

[463] (بار–أون)، قسم أفريقيا بوزارة الخارجية إلى (باريلف) (IDF) و (بوني) ، سفارة كمبالا، 27.1.1971، ISA 4551/12 [سرّي، عاجل].

[464] بعد وقت قصير من بداية الثورة، كان أمين بحاجة ماسّة إلى دعم عسكري عاجل. وقد رتّب الموساد عودة 90 جنديًا من قوات النخبة الذين كانوا يتلقون التدريب في اليونان، وكانوا يُعتبرون أوفياء تمامًا لأمين، ليعودوا فورًا إلى كمبالا ويعزّزوا حكمه. تولّى الموساد جميع الجوانب اللوجستية، ونسّق المغادرة المفاجئة مع السلطات في اليونان، إضافة إلى تأمين الأموال اللازمة للعملية. ((ب . باريلف)، (كمبالا) إلى وزارة الخارجية، 27.1.1971، ISA 4551/30 [سري، عاجل للغاية]؛ (أرازي)، (أثينا) إلى وزارة الخارجية، 3.2.1971، ISA 4551/31 [سري، فوري]؛ (أرازي)، (أثينا) إلى وزارة الخارجية، 2.2.1971، ISA 4551/31 [سري، فوري]؛ (باريلف) و (أدموني) في (كمبالا) إلى (الموساد) ووزارة الخارجية، PC، [سري، فوري]؛ (أ. أرازي)، المستشار في (أثينا) إلى مكتب المدير العام لوزارة الخارجية، 2.2.1971، ISA 4551/12 [سري للغاية]).

[465] (باريلف)، رئيس بعثة (الجيش الإسرائيلي)، و (واي. بون)، رئيس بعثة الموساد في كمبالا، إلى وزارة الخارجية، 26.1.1971، PC، [عاجل، سري]. ولمزيد من التقارير من الموساد و الجيش الإسرائيلي حول البهجة التي استقبل بها السكان الأوغنديون أمين كرئيس، انظر: (باريلف)، (بون) و (بن شالوم)، (كمبالا)، إلى وزارة الخارجية، 27.1.1971، PC [سري]؛ (باريلف)، (بون) و(بن شالوم) ، (كمبالا)، إلى وزارة الخارجية، 28.1.1971، ISA 4551/30 [فوري]؛ (ي. باريلف)، (كمبالا) إلى وزارة الخارجية، 27.1.1971، PC [سري، فوري].

وخلصت مذكرة سرية للغاية صادرة عن وزارة الخارجية إلى أن إسرائيل اضطلعت بدور فاعل في الانقلاب،

وأن (بارليف) عمل مستشاراً لأمين في أشد ساعات الثورة حرجا. ورسم له كيف يُخطّط لتحركاته المستقبلية. بل إنه أشار عليه بمن 'يتعيّن عليه تصفيتهم" 466

وبغض النظر عن المكانة الرفيعة لكُتّاب هذه المذكرة و مثيلاتها 467، فإنها مجرد مثال آخر على الاستهانة السافرة التي عاملت به وزارة الدفاع والموساد وزارة الخارجية. لقد عمل (بارليف) وسيطاً بين كبار الضباط الأوغنديين الراغبين في إعلان ولائهم لأمين والتأكّد من أنه لن يُقدم على قتلهم. وهذا ما حدث، على سبيل المثال، عندما "اتصل قائد قاعدة عنتيبي السابق للتو بـ (بارليف)، ليخبره أنه مستعد للعودة إلى عمله. وطلب من (بارليف) أن يرتب له ذلك مع أمين ."468

كانت إسرائيل تعمل خلف ظهر أمين لضمان أن يكون محاطاً بمستشارين موالين لإسرائيل. ويتجلى ذلك، مثلاً، عندما علم الموساد أن: "الجنرال عيدي أمين، حاكم أوغندا، يرغب في استقدام مستشار اقتصادي رفيع عبر توصية من البنك الدولي." فما كان من الموساد ووزارة الخارجية إلا أن أمرا مندوبيهما في واشنطن أن: "حاولوا الاستفسار من واحد أو اثنين من أصدقائنا المعروفين بالكتمان. هل بمقدورهم اقتراح بضعة أسماء لشخصيات ملائمة؟ تعاملوا مع هذا الملف بأقصى درجات التحفظ و احرصوا جاهدين أن ألا يتسرب الخبر."469 ولا ريب في أن هذا يُجسّد سرعة استيعاب إسرائيل للواقع الجديد ، الأمر الذي مكّن ممثليها من تعزيز نفوذهم لدى أمين رغم التعليمات الرسمية السابقة التي كانت تحظر عليهم ذلك.

هوامش

[466] (أ. عوديد) ، إلى مدير قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، بعنوان: "أوغندا"، 12.4.1972، ISA 5299/30 [سري].

[467] انظر على سبيل المثال مسودة مذكرة بعنوان "إسرائيل–أوغندا–أسئلة"، وزارة الخارجية، 2.4.1972، ISA 5298/6 ؛ قسم أفريقيا بوزارة الخارجية إلى سفارة دار السلام، 27.1.1971، ISA 4551/30 [سري، عاجل للغاية].

[468] سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية، 31.1.1971، ISA 4551/30 [سري، فوري].

[469] (س. أمير) ، نائب المدير العام لوزارة الخارجية، إلى (ي. باين)، واشنطن دي سي، 27.6.1971، ISA 4551/20؛ (ي. باين)، السفير في واشنطن إلى (س. أمير) ، بعنوان "مستشار مالي للجنرال أمين في أوغندا"، 9.7.1971، ISA 4551/20 [سري]؛ (ي. باين)، السفير في واشنطن إلى (س. أمير) بعنوان "مستشار مالي للجنرال أمين في أوغندا"، 8.7.1971، ISA 4551/20 [سري].

الصفحة 123

تورّط إسرائيل مع نظام عيدي أمين

وضع المندوبون الإسرائيليون في كمبالا، بما في ذلك السفير (الذي تعرض لانتقادات لاحقة شديدة بسبب ذلك)، انفسهم تحت تصرف عيدي أمين كمستشارين عقب استيلائه على السلطة مباشرة. وكان المندوبون الإسرائيليون يلتقون به يومياً ويمدونه بالمشورة حول كيفية التصرف.

أراد أمين مناشدة الدول طلبا للمساعدة، وقائلا: "إذا ساعدتنا جنوب أفريقيا فسوف نقبل مساعدتها أيضاً". آمل أن يكون قد أخذ بنصيحتنا بعدم الإفصاح عن مثل هذا الكلام غير المسؤول.470

وفي اليوم التالي:

الليلة الماضية اقترحنا على أمين أن يرسل رسائل إلى قادة الدول الأفريقية. ونتيجة لنقاشنا معه ، وفي غضون ساعتين فقط، تم توجيه إنذار شديد اللهجة إلى الحكومة السودانية حول خرق الحدود وتحركات جيشها. وكان السو دان قد أصدر بالفعل بياناً ينفي هذه الادعاءات. 471

كانت إسرائيل متورطة بشدة في العلاقات الجارية بين أوغندا والدول الأفريقية الأخرى. وقد تصاعد مستوى هذا التدخل بشكل كبير بعد استيلاء عيدي أمين على السلطة، إثر طلبه الشخصي. وساعدت إسرائيل نظام أمين الجديد في نيل اعتراف دولي هام.[2] وكانت إسرائيل الوجهة الأولى لأمين في أول زيارة خارجية له كرئيس لأوغندا، 473 وبعد ذلك شنت إسرائيل حملة دبلوماسية عالمية لصالحه. 474

وقد اضطلعت إسرائيل بدور قيادي في بناء الجسور بين نظام الرئيس عيدي أمين الجديد ونظيره الكيني، (جومو كين ياتا). وقد وافق (كينياتا)، على الرغم من عدم رغبته، على مقابلة أمين، مُستجيباً لضغوط إسرائيلية مكثفة. وكانت إسرائيل تسعى للوساطة بين أوغندا وكينيا حتى قبل استيلاء أمين على السلطة، 475 غير أن هذه الجهود تصاعدت بشكل ملحوظ بعد ذلك.476

هوامش

[470] (أوفري)، سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية، القدس، 30.1.1971، ISA 4551/30 [سري، فوري].

[471] سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية، 31.1.1971، ISA 4551/30 [سري، فوري].

[472] (أ. أوفري) ، كمبالا إلى وزارة الخارجية، 1.2.1971، ISA 4551/31 [سري، فوري].

[473] (هَداريتز)، 3 مارس 1972.

[474] تقرير، سفارة كمبالا، 25.6.1971، ISA 4551/20 [سري]. عقب تدخّل إسرائيل في واشنطن لصالح الرئيس أمين، أكدت وزارة الخارجية الأميركية لإسرائيل أن: "الوقت مناسب الآن لإبلاغ أمين بأن الولايات المتحدة تدعم نظامه وترغب في تطوير علاقات وثيقة معه. وسيتم إيجاد طريقة لتعزيز تأكيده على تطبيع العلاقات مع الدول المجاورة وإيجاد حلول لمشكلاته الاقتصادية." (ي. باين، سفارة واشنطن إلى وزارة الخارجية، 24.11.1971، ISA 4551/19 [سري]).

[475] انظر على سبيل المثال: (ر. دفني) ، السفير في نيروبي إلى وزارة الخارجية، القدس، بعنوان "في حديث مع الرئيس (كينياتا)"، 7.2.1970، ISA 4625/3 [سري].

[476] (ر. دفني) ، سفارة نيروبي إلى المدير العام لوزارة الخارجية، 4.4.1972، ISA 5299/31 [سري للغاية].

الصفحة 124

لهذا السبب، أرسل السفير الإسرائيلي السابق لدى أوغندا، (يوري لوبراني)، برفقة وزير الزراعة الكيني (وعميل الموساد) (بروس ماكنزي)، للقاء الرئيس عيدي أمين. وخلال الاجتماع، كان الاثنان يحاولان عملياً "تثقيف" أمين حول كيفية التصرف بصفته رئيساً للدولة:

"من المؤمّل أن يقوم الجنرال أمين، بصفته رئيساً لأوغندا، بالاتصال هاتفياً بالرئيس (كينياتا)، حتى لو كان فقط لتبادل كلمات ترحيب بسيطة بالسواحيلية (مثل مرحبا كيف الحال: Jambo, Habari). كما

يُبدي كل من السيد(لوبراني) والسيد (ماكنزي) قلقهما من أن العروض الأجنبية لبناء مستشفيات وعيادات وطائرات مائية وما شابه قد لا تحظى بالاهتمام اللازم."."477

كما تـ ولت إسرائيل دور الوسيط في نزاعات الطيران والقضايا القانونية 478 والخلافات السياسية بين البلدين؛ 479 ومارست وساطتها بين أوغندا ورواندا.480 وقد تورطت إسرائيل بشكل خاص عندما كان الرئيس أمين يوجه تهديدات نحو رواندا. حيث طلب وزير الخارجية البلجيكي والحكومة الرواندية من إسرائيل أن تتدخل وتوظف نفوذها لتخفيف الضغط 481

هوامش

[477] مذكرة بعنوان: "نقاط أثيرت في الاجتماع مع أمين، (ي. لوبراني) و (ب. ماكنزي)"، 14.6.1971، PC [سري].

[478] (د. لاؤور) ، سفارة كمبالا إلى مدير قسم أفريقيا، وزارة الخارجية، 7.10.1971، ISA 4551/19 [سري للغاية].

[479] (د. لاؤور) ، سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية، 15.11.1971، ISA 4551/19 [سري، فوري].

[480] (ي. شيموني) ، وزارة الخارجية، القدس، إلى سفارة بروكسل، 19.7.1971، ISA 4627/3 [سري، فوري].

[481] (ي. شيموني) ، وزارة الخارجية إلى كمبالا، 2.8.1971، ISA 4627/4 [سري]؛

(أ. أوفري) ، كمبالا إلى وزارة الخارجية، 16.5.1971، ISA 4627/2 [سري، فوري]؛

(س. مُوْري) ، كينشاسا إلى وزارة الخارجية، 22.7.1971، ISA 4627/2 [سري]؛

وزارة الخارجية إلى كينشاسا، 23.7.1971، ISA 4627/2 [سري]؛

(ي. شيموني) إلى (ن. يعيش)، وزارة الخارجية، دائرة أوروبا (أ)، 30.7.1971، ISA 4627/2 [سري]؛

(د. لاؤور)، السفير في كمبالا، إلى (ي. شيموني)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية، 5.8.1971، ISA 4627/2 [سري]؛

تقرير بعنوان: "رواندا – مسح لثلاثة أشهر، يوليو–سبتمبر 1971"، (هـ. هراري) إلى قسم أفريقيا، وزارة الخارجية، 8.10.1971، ISA 4627/4؛ (ي. أوفري) ، سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية، 20.2.1971، ISA 4551/31 [سري، عاجل]؛ (أ. عوديد) ، وزارة الخارجية إلى مدير قسم أفريقيا، مذكرة داخلية بعنوان "أزمة العلاقات مع أوغندا – الأسباب والاستنتاجات"، 27.3.1972، ISA 4551/22 [سري].

الصفحة 125

الدعم العسكري والجوي والفني لحكم أمين

كان الطيّارون الإسرائيليون لطائرات (الداكوتا) يشاركون في دوريات نشطة على الحدود وفي نقل الجنود والمعدات والأسلحة إلى المناطق الحدودية والقتال، وذلك تنفيذا لوعد شفهي من وزارة الدفاع الإسرائيلية بأن تضطلع هذا العمل إلى أن يكتمل تدريب الطيارين الأوغنديين.482 وكان الطيارون الإسرائيليون منخرطين أيضاً في الصراع منخفض الحدة الجاري بين جنود أمين وتنزانيا.483 كما كان الطيارون الإسرائيليون ينقلون أمين وضيوفه جوا في جميع أنحاء البلاد وفوق الأراضي التنزانية.484

كانت وزارة الخارجية الإسرائيلية تدرك تماماً حساسية التورط في التوتر الأوغندي–التنزاني، وطلبت من ممثليها في كمبالا:

"عليكم اقناع أمين بعدم إرسال طائرته، وعدم إجراء مراسم علنية، وعدم اطلاق أي دعاية. فموضوع مهمة سلاح الجو الإسرائيلي شديد السرية ولا يُرحَّب بأي دعاية حوله، بسبب الفوضى الناجمة في تنزانيا

وبشكل عام. يُرجى شرح ذلك له، وأنه من مصلحته هو إدارة أمور بهذا القدر من الحساسية والتعقيد بصمت، وبتعقل، و دون أي ضجة اعلامية."485

و مواصلة لتدخلاتهم السابقة، استمر كل من الموساد ووزارة الخارجية في مراقبة التطورات الداخلية في أوغندا عن كثب.486 وقد تورطت إسرائيل في عدة قضايا داخلية أوغندية، ويعود ذلك أساساً إلى سببين: التطاحن الحاد بين مختلف الدوائر الحكومية الأوغندية من جهة، واعتقاد بعض المسؤولين الأوغنديين -الذين كانوا يقدرون النفوذ الإسرائيلي في بلادهم وخصوصاً على الرئيس أمين- بأن جر إسرائيل إلى مناوراتهم السياسية الداخلية قد يمكنهم من تحقيق مكاسب. 487

هوامش

[482] رئيس بعثة سلاح الجو الإسرائيلي في أوغندا إلى رئيس الارتباط العسكري في أوغندا، 9.1.1969، IDFA 1648/89-234 [سري].

[483] (د. لاؤور)، كمبالا إلى وزارة الخارجية، 23.8.1971، ISA 4551/20 [سري للغاية، عاجل جداً]. حول الصراع نفسه، انظر مراجعة خاصة للموساد بعنوان: "أفريقيا – تداعيات الصراع الأوغندي–التنزاني"، 15.10.1972، ISA 5298/2 [سري]؛ ومراجعة للموساد، 26.10.1971، ISA 4551/23 [سري].

[484] إحدى هذه الرحلات انضمّ إليها السفير الإسرائيلي (أوفري)، الذي لم يرَ أي مشكلة في أن يقله طيارون إسرائيليون هو والرئيس الأوغندي فوق مناطق صراع في تنزانيا (انظر: أ. أوفري، كمبالا إلى وزارة الخارجية، 5.7.1971، ISA 4551/12 [سري]).

[485] (ي. شيموني)، وزارة الخارجية إلى كمبالا، 2.9.1971، ISA 45551/20 [سري للغاية، عاجل جداً]؛ (د. لاؤور)، كمبالا إلى وزارة الخارجية، 2.9.1971، ISA 4551/20 [سري للغاية، عاجل جداً].

[486] (ز. كاسبين) ، الموساد، سفارة دار السلام إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 18.2.1971، ISA 4551/31 [سري]؛ (بوني) و (باروليف)، سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية، 25.1.1971، ISA 4551/30 [سري، عاجل].

[487] تورّطت إسرائيل في تعيين مستشار خاص لتحسين العلاقات بين وزارة الخزانة الأوغندية والبنك المركزي الأوغندي. انظر: (د. لاؤور) ، السفير في كمبالا إلى وزارة الخارجية، القدس، بعنوان "مستشار مالي"، 26.8.1971، ISA 4551/20 [غير مصنف].

الصفحة 126

كانت إسرائيل منخرطة أيضاً في النزاعات الداخلية بين مختلف الجماعات المسلمة في أوغندا، وكانت تموّل بشكل كبير إحدى هذه الجماعات، وهي فصيل (نوعام NOAM)488. وقد توقّف تمويل (نوعام) بشكل مفاجئ عندما استولى الجنرال عيدي أمين على الدولة. كان يُنظر إلى (نوعام) على أنها مؤيدة لـ (أبوتي)، وبالتالي تعرّضت للاضطهاد على يد أمين.489

تنظيم العلاقات مع النظام ما بعد الانقلاب

وفى عيدي أمين بالوعد الذي وعده قبل الثورة. فبعد استيلائه مباشرة على السلطة، زاد طلب أوغندا على الامدادات العسكرية والتدريب من إسرائيل.490 وفي يونيو 1971، وصل (تشارلز أوبوث-أوفومبي)، وزير الدفاع الأوغندي، إلى إسرائيل في زيارة رسمية استضافتها وزارة الدفاع الإسرائيلية. وخلال سلسلة من الزيارات، التقى (أوفومبي) برؤساء المؤسسات الأمنية.491

هوامش

[488] (ي. بيرن) ، سفارة كمبالا إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية بعنوان "**المسلمون في أوغندا**"، 24.4.1970، ISA 4551/34 [سري]؛ (ي. بيرن)، سفارة كمبالا إلى (أ. عوديد) ، قسم أفريقيا بوزارة الخارجية بعنوان "المسلمون في أوغندا"، 22.5.1970، ISA 4551/34 [سري]؛ (ي. بن شالوم) ، سفارة كمبالا إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية بعنوان "محادثة مع الشيخ (كالينغا) والحاج (أحمد سيكولِيما)"، 20.11.1970، ISA 4551/34 [سري]؛ (ل. سيديس)، قسم أفريقيا بوزارة الخارجية إلى سفارة كمبالا، 25.11.1970، ISA 4551/34 [غير مصنف]؛ (ل. سيديس)، قسم أفريقيا بوزارة الخارجية إلى سفارة كمبالا بعنوان "محادثة مع الشيخ (كامينغيا) والحاج (أحمد سيكولِيما)"، 26.11.1970، ISA 4551/34 [سري]؛ (أ. أوفري) ، سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية، 30.1.1971، ISA 4551/34 [سري، فوري]؛ (أ. عوديد)، قسم أفريقيا بوزارة الخارجية إلى سفارة كمبالا بعنوان "مساعدة لأصدقائنا في مجموعة نوعام"، 17.2.1971، ISA 4551/34 [سري]؛ (ي. بن شالوم) ، سفارة كمبالا إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، القدس، بعنوان "مجموعة نوعام"، 12.3.1971، ISA 4551/34 [سري]؛ (أ. عوديد)، قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، القدس، إلى سفارة كمبالا بعنوان "مجموعة نوعام"، 17.3.1971، ISA 4551/34 [سري]؛ (أ. عوديد) ، قسم أفريقيا بوزارة الخارجية إلى سفارة كمبالا بعنوان "ماسا سابيرومبي"، 28.7.1971، ISA 4551/34 [سري]؛ (د. لاؤور)، السفير في كمبالا إلى مدير قسم أفريقيا بوزارة الخارجية بعنوان "ساعدة للمسلمين – مجموعة نوعام"، 12.8.1971، ISA 4551/20 [سري]؛ (د. لاؤور) ، السفير في كمبالا إلى مدير قسم أفريقيا بوزارة الخارجية بعنوان "مساعدة للمسلمين – مجموعة نوعام"، 12.8.1971، ISA 4551/34 [سري]؛ (د. لاؤور) ، السفير في كمبالا إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية بعنوان "مساعدة للمسلمين – مجموعة نوعام"، 23.9.1971، ISA 4551/20 [سري]؛ (د. لاؤور) ، السفير في كمبالا إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية بعنوان "مساعدة للمسلمين – مجموعة نوعام"، 23.9.1971، ISA 4551/34 [سري]؛ (أ. عوديد)، قسم أفريقيا بوزارة الخارجية إلى سفارة كمبالا بعنوان "مساعدة للمسلمين – مجموعة نوعام"، 28.9.1971، ISA 4551/34 [غير مصنف]؛ تفويض تمويل موقّع من مدير قسم أفريقيا بوزارة الخارجية لدعم مسلمي نوعام في أوغندا، 30.9.1971، ISA 4551/34 [غير مصنف]؛ وزارة الخارجية، القدس، إلى سفارة كمبالا بعنوان "مساعدة لمسلمي نوعام"، 5.10.1971، ISA 4551/20 [سري].

[489] (أ. عوديد)، قسم أفريقيا بوزارة الخارجية إلى (أ. لابتن)، الموساد، 8.2.1971، ISA 4551/31 [سري].

[490] كانت الطلبات حتى 1.4.1971 كما يلي:

– المدرعات: 7 دبابات إضافية تصل خلال ثلاثة أشهر؛

– وحدات الدوريات: توسيعها من فوج واحد إلى ثلاثة أفواج من المركبات المدرعة؛

– المظليون: توسيعهم من فوج واحد إلى ثلاثة أفواج؛

– إنشاء مدرسة مشاة؛

– سلاح الجو: تدريب 41 طياراً و70 فنياً؛

– برامج تدريب وتعليم في إسرائيل؛

– مشتريات: منذ الانقلاب تم توقيع عقود بناء وصفقات شراء بمبلغ يقارب 20 مليون دولار.

(تقرير داخلي بعنوان "طلبات الحكومة الأوغندية في الشؤون العسكرية"، من (هـ. أينور)، مدير قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، إلى (ي. شيموني)، نائب مدير عام وزارة الخارجية، 4.4.1971، ISA 4551/12 [سري]).

[491] التقى (أوفومبي) بكل من رئيس الأركان الإسرائيلي، والمساعد الشخصي لوزير الدفاع، وقائد سلاح الجو، بالإضافة إلى ممثلين آخرين من الجيش ووزارة الدفاع.

الصفحة 127

أسفرت الزيارة عن عدة اتفاقيات جديدة و مراجعات لاتفاقيات قائمة تتعلق بالتعاون بين البلدين، وشكّلت رفعاً لمستوى انخراط وزارة الدفاع الإسرائيلية مع المؤسسة الأمنية الأوغندية.492 و اعقب الزيارة، توقيع عقد دفاعي جديد أوسع نطاقا بكثير من سابقه.493

زوّدت إسرائيل أوغندا بدبابات نُقِلت بسرية عبر ميناء مومباسا الكيني.494 كما تسلم عيدي أمين طائرة (جيت-كوماندَر) جديدة هدية من الصناعات الجوية الإسرائيلية عبر وزارة الدفاع، وكان يستخدمها بفخر في رحلاته داخل أوغندا وفي مختلف أرجاء أفريقيا.495

وفي المجال الاستخباراتي، تولى (الشاباك) تدريب حرس أمين الشخصي والشرطة العسكرية496، كما كان يتحمل مسئولية أمنه الشخصي خلال اسفاره الخارجية.497 إضافة إلى ذلك، كان الموساد يجمع معلومات عن أتباع (أبوتي) في جميع أنحاء أفريقيا ويمررها إلى أمين.498

و جرى كل ذلك في أجواء بالغة الدفء، حيث كانت رئيسة الوزراء (جولدا مائير) ترسل الى امين رسائل شخصية بنبرة بالغة التودد،499 مهنّئة إياه بالذكرى السنوية الأولى للنظام الجديد الذي اقامه.500

الهوامش

[492] تقرير من وزارة الدفاع مؤرخ في 22.7.1971 يذكر عدة من هذه الاتفاقيات المهمة:

– دورات تدريبية لقادة المظليين؛

– تدريب أطقم الدبابات، والفنيين، وسائقي مركبات النقل الثقيلة؛

– بدء محادثات حول إمكانية تنظيم دورة ضباط؛

وقد قُدّر ثمن هذه الدورات بـ 400,000 دولار.

سلاح الجو: رفض سلاح الجو الإسرائيلي ووزارة الدفاع الطلب الأوغندي لشراء مقاتلات سكايهوك ثم طلب (أوفومبي) شراء مقاتلات ميراج الأقل تقدماً، وقد شرح له قائد سلاح الجو المخاطر والقيود في مثل هذا القرار (ومن الواضح أن إسرائيل كانت مترددة في بيع أي مقاتلات نفاثة لأوغندا). وبالإضافة إلى ذلك، تم الاتفاق على شراء ست طائرات نقل من نوع عَرَبة (Arava) ، ووعد رئيس الأركان بمساعدة (أوفومبي) في توفير طياري مروحيات وفنيين لإرسالهم إلى أوغندا. , دبابات ومركبات جنود مدرّعة: إضافة إلى عدة مدافع بوزن 25 رطلاً (مخصّصة للطلقات الاحتفالية). كما وُقّع اتفاق لإنشاء ورشة صيانة ودعم فني للجيش. وتم الاتفاق على أنه ابتداءً من يوليو 1972 تتحمل الحكومة الأوغندية ميزانية ونفقات البعثة الإسرائيلية في أوغندا. (انظر: (بار-أون) ، وزارة الدفاع إلى العقيد (ب. باريليف)، سفارة كمبالا — بشأن زيارة (أوفومبي)، المدير العام لوزارة الدفاع الأوغندية، لإسرائيل عام 1971، 22.6.1971، ISA 4551/20 [سري]).

[493] (د. ي. جيرا) ، مكتب المستشار القانوني للحكومة إلى العقيد (أ. راز)، وحدة المساعدة والاتصالات الخارجية، بعنوان "سودة اتفاق المساعدة المزمع توقيعه مع حكومة أوغندا"، 5.3.1972، ISA 5298/8 [سري]؛ (د. ماركوس)، مكتب المدير العام لوزارة الخارجية إلى (ي. شيموني)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية، 10.8.1971، ISA 4551/20 [سري للغاية].

[494] (أ. أوفري) ، كمبالا إلى مدير قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 5.3.1971، ISA 4551/12 [سري].

[495] (د. لاؤور) ، سفارة كمبالا إلى مدير قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 3.2.1972، ISA 5298/4 [سري].

[496] (أ. أوفري) ، كمبالا إلى وزارة الخارجية، 5.7.1971، ISA 4551/12 [سري].

[497] (د. لاؤور) ، السفير في كمبالا إلى قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 15.12.1971، ISA 4551/23 [سري].

[498] (ز. كاسبين) ، سفارة دار السلام إلى مقر الموساد، بعثة الموساد في كمبالا وقسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 27.5.1971، PC [سري].

[499] رسالة من الرئيس أمين إلى رئيسة الوزراء (جولدا مائير) ، 7.1.1972؛ ورسالة (مائير) إلى الرئيس أمين، 1.2.1972، ISA 5298/4.

[500] كتبت رئيسة الوزراء (جولدا مائير): " لقد تأثرتُ بعمق بالمشاعر التي أبديتموها بشأن التعاون بين بلدينا. وأنا أشاطركم الرغبة في استمرار هذه الروابط النافعة للطرفين، بل وتطويرها بشكل مثمر. اسمحوا لي، حضرة السيد الرئيس، أن أقدم لكم شخصياً، ولشعبكم، تهانيّ بمناسبة الذكرى الأولى للجمهورية الثانية في أوغندا، وأطيب أمنياتي لازدهار ورفاهية بلدكم العظيم" (رئيسة الوزراء إلى الرئيس عيدي أمين، ISA 5298/8 [سري]).

الصفحة 128

أرسل عيدي أمين من جهته طلباً خاصاً إلى وزير الدفاع (موشيه دايان) يطلب فيه الإبقاء على العقيد (بارليف) رئيساً لبعثة الجيش الإسرائيلي في أوغندا لمدة عامين آخرين.501

كانت خطط أمين للتعاون المستقبلي مع إسرائيل تشمل - وفقاً للنص الإسرائيلي لطلبات امين - ما يلي:

"أود أن أطلب منكم (إسرائيل) تزويدي بمعلومات عن القادة في الدول العربية: أسماء أولئك الذين يستطيعون تغيير الأنظمة، وأولئك الذين لهم تأثير كبير على النظام وعلى الأمة. أريد أن يتواصل رجالي مع هؤلاء الأطراف من أجل كسب تعاطفهم واستخدام نفوذهم."

وأقرّ أمين بأنه يريد إقامة علاقات دبلوماسية مع دول مثل السعودية، وأنه لو تمكن مالياً — لكان يرغب أيضاً في إقامة علاقات استخباراتية مع الدول الإسلامية.502 ولم يكن التلميح لمصلحة إسرائيل أكثر وضوحاً من ذلك.

ارتبطت إسرائيل ارتباطا عضويا بنظام عيدي امين. فالرئيس الأوغندي كان كثيراً ما يظهر في المناسبات العامة وعلى شاشات التلفزيون برفقة ضباط إسرائيليين بزيّهم العسكري.503 وقد حاولت وزارة الخارجية الإسرائيلية تقليل الظهور العلني لإسرائيل في أوغندا قدر الامكان، لكن وزارة الدفاع والجيش الإسرائيلي لم يستجيبا لهذا الطلب أيضاً.504

في يوليو 1971، شرع الرئيس أمين في التخطيط لغزو كينيا من أجل تأمين "منفذ الى بحري" لبلاده، و اشرك الإسرائيليين في مخططاته طالباً "شراء 8–12 طائرة مقاتلة حديثة مثل سكايهوك أو أي طائرة أخرى ذات قدرات مشابهة".

هوامش

[501] الجنرال (عيدي أمين دادا) ، رئيس جمهورية أوغندا، إلى الجنرال (موشيه دايان)، وزير الدفاع الإسرائيلي، 19.6.1971؛ (دايان) إلى أمين، 23.6.1971؛ (دايان) إلى رئيسة الوزراء (مائير) ووزير الخارجية (إيبان)، 25.6.1971، ISA 4551/12 [سري].

[502] (د. لاؤور)، السفير في كمبالا إلى (م. شاليف) ، رئيس قسم أفريقيا في وزارة الخارجية، 10.2.1972، ISA 5298/8 [سري].

[503] (أ. أوفري) ، كمبالا إلى مدير قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 5.3.1971، ISA 4551/12 [سري].

[504] (هـ. بار-أون) ، المدير العام لوزارة الخارجية إلى (د. لاؤور)، السفير في كمبالا، 30.9.1971، ISA 4551/20 [سري للغاية، شخصي].

صفحة 129

أما كبار قادة الموساد ووزارة الدفاع في إسرائيل — البراغماتيون في نظرتهم للطاغية الأوغندي— فقد انتابهم القلق: "[هذه الطلبات] تدفعنا للتشكيك في حكمة أمين السياسية من جهة، وفي مستوى تورطنا من جهة أخرى." لذلك تقرر "المماطلة في ردودنا على طلبات أمين المحددة، و سنعرض في الابان ارسال وفد عسكري رفيع المستوى لدراسة طلباته، حيث اننا نميل الى رفض معظمها."505 وبالفعل وصل وفد إلى أوغندا. وقد أظهرت رتب أعضائه الأهمية الكبيرة التي أولتها إسرائيل لعلاقاتها العسكرية مع أوغندا.506 وكانت التعليمات الصادرة لهذا الوفد إعداد الأرضية لتعزيز نظام أمين، بما في ذلك القدرة على: "... الردع والثبات في مواجهة التهديدات العسكرية المحتملة، سواء الخارجية أو الداخلية." وبعد إجراء تقييم شامل للاحتياجات العسكرية الاوغندية ، قدّمت الاستنتاجات. وبفعل رغبة إسرائيل الشديدة في بيع أكبر قدر ممكن من الأسلحة، جاءت التوصيات كما هو متوقع: "وجد وفدنا أن مطالب أمين معقولة، و نوصي بتنفيذ التعهدات المتفق عليها."507

وبُعيد زيارة الوفد، أخبر أمين إسرائيل بسرية بأنه على وشك إعلان الحرب على تنزانيا، على خلفية التوتر بين الدولتين. وافترضت إسرائيل أن: "خطط أمين، كما قدّمها لوفد نا بحضور خمسين شخصية وضابطاً أوغندياً، لن تبقى سرية." لذلك أرسلت شعبة الشئون السياسية و الاتصال (TEVEL) في الموساد رسالة عاجلة "لتوضح لأجهزة الاستخبارات الكينية والأميركية والبريطانية — ومن خلالها لقادة هذه الدول — بأن مبعوثينا يقومون بكل ما في وسعهم لثني أمين عن اعلان الحرب، وأننا ننصحه بمحاولة حل نزاعه مع تنزانيا بالطرق السلمية."508

هوامش

[505] (بار-أون) إلى المدير العام لوزارة الخارجية، 14.7.1971، ISA 4551/20 [سري للغاية] — تقرير عن اجتماع في مكتب وزير الدفاع بحضور الوزير، والعميد (تسور) (مساعد الوزير)، واللواء (زامير) (مدير الموساد)، ونائب المدير العام لوزارة الخارجية.

[506] شارك في الوفد: اللواء (هوف) (قائد الجبهة الشمالية)، العميد (باروخ غلبوع)، والعقيد (ي. تفو) — سلاح الجو، و ممثل عن الموساد، و ممثل عن وحدة المساعدة والعلاقات الخارجية في وزارة الدفاع.

[507] (د. لاؤور) ، سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية، 15.9.1971، ISA 4551/20 [سري للغاية].

[508] مذكرة داخلية من (هـ. بار-أون) ، المدير العام لوزارة الخارجية إلى (ي. شيموني)، نائب المدير العام، 7.9.1971، ISA 4551/20 [سري للغاية، عاجل]؛ (د. لاؤور)، كمبالا إلى وزارة الخارجية، 11.2.1972، ISA 5298/4 [سري للغاية، عاجل جداً]؛ (م. شاليف) ، رئيس قسم أفريقيا بوزارة الخارجية إلى سفير إسرائيل في نيروبي، 11.8.1971، ISA 4625/4.

الصفحة 130

كان هناك، مع ذلك، جانب آخر للتورط الإسرائيلي المعقد مع أمين، وهو جانب ذو دلالة أخلاقية كبيرة: الفظائع التي ارتكبها الرئيس الأوغندي..

لقد أكّدت العديد من التقارير والمنشورات الموثوقة منذ انقلاب أمين عمقَ تورطه في أبشع الجرائم ضد الإنسانية، التي ارتُكبت في حق شعبه. فقد دفعه هوسه بالبقاء في السلطة— وكذلك متعته المحضة — إلى ارتكاب فظائع مختلفة تحت غطاء ضرورات السياسة. وبعد سنوات، كان الخوف من محاكمة دولية هو

السبب على الأرجح وراء نفي أمين لنفسه إلى السعودية، وهي إقامة استمرت معظم الفترة منذ هروبه من أوغندا وحتى وفاته في أغسطس 2003.

يشهد (يوري لوبراني)، السفير الإسرائيلي لدى أوغندا وأحد أبرز رجال وزارة الخارجية آنذاك، بأن الجنرال أمين:
"...كان ذا عقل مضطرب. كان رجلاً متوحشاً حقاً بلا أي وازع، لا سيما حين يتعلق الأمر بحياة البشر."
ويحكي (لوبراني) عن اللامبالاة والاستهتار الأخلاقي لعيدي امين عندما قتل زوجته (لوسي). فعندما اختفت ذات يوم، سأل (لوبراني) أمين عنها، فأجابه أمين بأنه في صباح اليوم السابق، وبعد شجار بينهما، القاها في منطقة مليئة بالتماسيح في نهر النيل، حيث التهمتها.509

يبدو أن موقف لوبْراني — رغم رعبه من أفعال أمين وقتها — لم يخرج عن النهج الإسرائيلي ذاته، إذ لخّص فلسفته قائلاً:
"لا يمكن فعل أي شيء. لا يمكنك أن تكون قديساً وتختار شركاءك وأعداءك. الوعظ سهل جداً إذا أغفلنا الثمن الذي كان سيدفع. أي شخص لا يلعب وفق القواعد يُبعد عن رقعة الشطرنج."510

وهكذا، فإن دراية المبعوثين الإسرائيليين بتلك السلوكيات لم تكن مجرد دراية سطحية، بل كانت، في كثير من الأحيان — كما في سائر جوانب تعاونهم مع نظامه — مشاركةً في تبعات أفعاله.
هوامش
[509] مقابلة مع (لوبراني).
[510] المصدر نفسه.

صفحة 131

في إحدى الحالات، قدمت إسرائيل نصيحة للرئيس أمين حول كيفية التصرف عندما قُتل شخصان كانا على اتصال بالسفارة الأميركية على يد قوات أمين.511 إضافة إلى ذلك، كان المبعوثون الإسرائيليون يرفعون تقارير عن هذه الفظائع إلى رؤسائهم في إسرائيل.

وتتحدث بعض وثائق وزارة الخارجية الإسرائيلية ووزارة الدفاع والموساد عن:
"التصفية" التي طالت عدة مجموعات من قبائل (لانغو) و (أتشوليان) (بلغ عددها 510 أشخاص وفقاً لعيدي أمين نفسه)، ممن حاولوا عبور الحدود إلى السودان وتنزانيا؛512
عمليات قتل جماعي بدم بارد لجنود وضباط اشتبه عيدي أمين في عدم ولائهم له، إلى حد أنه استنزف صفوف جيشه بشكل كبير، و سبب "نقصاً" في الطيارين؛513
قتل الموالين لـ (أوبوتي) خلال انقلاب أمين؛514
إلقاء 500 رجل في النيل في ليلة واحدة، وهي عملية أشرف عليها ابن شقيق أمين (كما روى ذلك للمبعوث الإسرائيلي (دافيد بن عوزيئيل) عام 1971).515

كانت الأساليب الوحشية التي استخدمها أمين في تثبيت حكمه جزءاً من سياسة متبعة. فقد استخدم عبارة "تهدئة الوضع" لوصف ما يخطط لفعله بسكان منطقة (بوغاندا) لرئيس محطة الموساد في كمبالا. كان هذا يعني أن كثيراً من الأرواح أزهقت على يد القوات التي أرسلها أمين إلى هناك، وتشمل دبابات ومشاة.516 **وعليه يمكن التأكيد أن المسؤولين الإسرائيليين كانوا على دراية كاملة بفظائع أمين، بينما استمرت إسرائيل في دعم نظامه.**

هوامش

[511] (د. لاؤور) ، سفارة كمبالا إلى رئيس قسم أفريقيا بوزارة الخارجية، 3.2.1972، ISA 5298/4 [سري].

[512] (أوفري)، سفارة كمبالا إلى (ي. شيموني) نائب المدير العام لوزارة الخارجية، وآخرين، 22.4.1971، ISA 4551/12 [غير مصنّف].

[513] (أ. أوفري) ، كمبالا إلى وزارة الخارجية، 27.6.1971، ISA 4551/32 [سري]؛ (أ. عوديد)، قسم أفريقيا بوزارة الخارجية إلى (ي. باين) سفارة واشنطن، 21.11.1971، ISA 4551/19 [سري]؛ مذكرة داخلية من (أ. عوديد) إلى رئيس قسم أفريقيا، 3.5.1972، ISA 4551/22 [سري]؛ (أ. أوديد) إلى رئيس قسم أفريقيا، 21.3.1971، ISA 4551/22 [سري].

[514] (دي. ماركوس)، 9.4.1972، ISA 4551/22. هذه المذكرة التي تتناول انقلاب عيدي أمين بأثر رجعي، تعترف بحقيقة أن "الدبلوماسيين الإسرائيليين نفوا التقارير المتعلقة بتصفية الموالين لـ (أوبوتي). وقد شهد مدربو الطيران الإسرائيليون اختفاء المتدربين لديهم بسبب ولائهم ودعمهم لـ (أوبوتي)". وقد نفت السفارة الإسرائيلية في (كمبالا) التقارير بهذا الخصوص واعتبرتها غير صحيحة ويقصد منها الاثارة.

[515] مقابلة مع (دافيد بن عوزيئيل).

[516] (بار–غيورا) ، الموساد إلى وزارة الخارجية، 13.1.1972، ISA 5298/4 [سري، عاجل].

الصفحة 132

ومع ذلك، لم تكتفِ تقارير رسمية أخرى بعدم كشف الحقيقة، بل اختارت أيضًا وصفها بشكل مغاير. و لم يقتصر هذا على مبعوثي الموساد و وزارة الدفاع الإسرائيلية، بل شمل —على ما يبدو—أيضًا ممثلي السلك الدبلوماسي. ويبدو أن الرائحة التي يمكن تُشتم في برقيات الموساد و وزارة الدفاع الصادرة من أوغندا، تلك التي كانت تُشيد بأمين و تتغاضى عن الطبيعة الحقيقية لنظامه الجديد، قد غمرت أيضا السفير الجديد لوزارة الخارجية في كمبالا ، (دي. لاؤور). ففي رسالة شديدة السرّية أرسلها إلى إدارة إفريقيا في وزارة الخارجية في 20 أكتوبر 1971 قال فيها:

"أود أن أقرّ بصراحة بأنني لم أجد أي علامات للجنون أو الغباء أو البلاهة أو أي نوع من الاضطراب — كما وصفه بعض أصدقائنا في الوطن... إن الرئيس يعرف ما يريد، وفي رغباته قدر كبير من المنطق، الذي قد يبدو مختلفًا عند النظر إليه من خارج أوغندا."517

ويمضي واصفًا نظام أمين الجديد بأنه أكثر حرية وأمانًا لشعب أوغندا) مما كان عليه حكم (أوبوتي).518

قد تكون الصورة مختلفة عمّا وصفه (لاؤور). فقد خلصت وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى أن "النفقات العسكرية في أوغندا تستهلك جزءًا كبيرًا من الميزانية الوطنية، وقد تُعرّض اقتصاد البلاد للخطر وعدم الاستقرار، وتلحق ضررًا بخطط التنمية."519 ومع ذلك، بذل المبعوثون الإسرائيليون قصارى جهدهم لبيع المزيد والمزيد من الأسلحة لأمين، مزودين إ ياه بما يعزّز جرائمه وقوته السياسية معًا.

كانت إسرائيل تدرك الطبيعة الحقيقية لنظام أمين وشخصيته. ففي تقرير صادر في يوليو 1971، وُصف أمين بأنه "يفتقر إلى الخبرة، سواء في الحياة السياسية أو في الديمقراطية. وفي أيامه الأولى بدا نظامه أكثر عسكرية واستبدادًا م ن نظام (أوبوتي). لقد حلّ أمين البرلمان الذي استمر طوال عهد (أوبوتي)."520 وعلى الرغم من ذلك، واصلت إسرائيل دعمه بحماسة شديدة "لأن إسرائيل تحتاج إليه أكثر مما يحتاج هو إليها (جنوب السودان)."521

هوامش

[517] (دي. لاؤور)، سفارة (كمبالا) إلى (م. شاليف)، رئيس إدارة إفريقيا في وزارة الخارجية، 30.12.1971، ISA 4551/23 [سري].

[518] (دي. لاؤور)، سفارة (كمبالا) إلى رئيس إدارة إفريقيا بوزارة الخارجية، 20.10.1971، ISA 4551/19 [سري للغاية]؛ كما يمكن العثور على تصريح مماثل يقول إن "هناك اليوم مزيدًا من الديمقراطية والحرية في (أوغندا) مقارنة بأيام (أوبوتي)" في: (أ. عوديد)، إدارة إفريقيا في وزارة الخارجية إلى سفير (كمبالا)، 27.10.1971، ISA 4551/19.

[519] مسح بعنوان: "أوغندا"، (أ. عوديد) إلى مدير إدارة إفريقيا في وزارة الخارجية، 11.7.1971، ISA 4551/23.

[520] المرجع نفسه.

[521] المرجع نفسه.

صفحة 133

كان أحد الاعذار التي سيقت في الرسائل الرسمية لتبرير الاستمرار في العلاقات مع أمين هو الادعاء بأن الوجود الإسرائيلي قربه ضروري من أجل كبح سلوكه "الهمجي". وقد أراد (لاؤور)، الذي كوّن علاقة وثيقة مع أمين، أن يُمنح صلاحية التصرف في بعض القضايا «...من دون الرجوع إلى الرؤساء في الوطن...»، من أجل الحفاظ على قدرته على العمل مستشارًا لأمين. وكان يعتقد أن ذلك سيمكنه من منع الرئيس من القيام «...بخطوات متسرعة...» قد تضر به و ببلده.522

و برغم نبرة الذهول التي أبداها المسؤولون الإسرائيليون عقب قطع العلاقات، فإن النهاية المفاجئة لم يكن من الممكن أن تكون صادمة تمامًا. فأولئك الذين عملوا في أوغندا كانوا يدركون طبيعة أمين، و مناوراته الماكرة التي أوصلته إلى الحكم (بعضها شارك فيها الإسرائيليون، وبعضها قاموا بتوجيهه)، كما أن تقلبه لم يكن خافيا عليهم. وكان أمين، الذي لم ينس من اجلسوه على كرسي السلطة و لا ما هي قدراتهم، يدرك أيضًا أن المصلحة المحضة هي التي جعلت شركاءه الإسرائيليين يقفون إلى جانبه.

ولم يكن لعلاقةٍ تُبنى على هذا الأساس الهش أن تعمّر طويلاً. ففي مطلع عام 1972 أمر أمين ببدء عملية إجلاء المم ثلين الإسرائيليين من أوغندا . أما الأسباب الاخرى لهذه الخطوة، كاصطفافه الى جانب الأموال العربية والحصول على بدائل للدعم ، فسيتم تناولها لاحقًا في الفصل الثامن.

هوامش

[522] (دي. لاؤور)، سفارة (كمبالا) إلى رئيس إدارة إفريقيا في وزارة الخارجية، 20.10.1971، ISA 4551/19 [سري للغاية]؛ وكان (لاؤور) هو من صرخ بعد أن قطع أمين علاقاته مع إسرائيل بشكل مفاجئ قائلاً إن أمين قد حصل على كل ما أراده من إسرائيل. «... لقد نقلت طائراتنا معدات عسكرية عاجلة إلى أوغندا، وعدد الخبراء الذين لدينا هناك يزداد باستمرار. لم نطلب أية مزايا أو فوائد من أي نوع؛ لم نطلب قواعد عسكرية، ولم نتقدم بأي مطلب يمكن أن يضر باكتفاء أوغندا الذاتي...» (دي. لاؤور ، سفارة (كمبالا) إلى (م. شاليف)، مدير إدارة إفريقيا في وزارة الخارجية، 30.12.1971، ISA 4551/23 [سري]).

صفحة 134

الفصل السابع: الفساد

وكما في سائر أشكال التفاعل التي تطبع العمل الدبلوماسي والسري، لم يكن لانخراط إسرائيل في أفريقيا أن يسير من دون أن يُخلّف ارتدادات متنوعة في الداخل الإسرائيلي نفسه. ففي بعض المجالات، كان التآزر والتغييرات الناجمان عن العلاقات مع الدول الأفريقية إيجابيين، وقد أسهما في تعزيز قدرة إسرائيل على صياغة سياستها الخارجية وتنفيذها. لكن على الصعيد الشخصي، مثّل بعض الممثلين الإسرائيليين في أفريقيا الوجه القاتم وغير المرغوب فيه للعلاقات الدولية. وتكشف الحقبة التي تلت حرب يونيو 1967 عن خلل أخلاقي جسيم في سلوك إسرائيل بأفريقيا ، مقترنًا بتدهور ملحوظ في المعايير الأخلاقية الشخصية للعديد من مبعوثيها إلى القارة.

وكأنّ التوسع المُتسارع في أفريقيا وعمق التورط الإسرائيلي فيها بدأ يُلقي بظلاله الثقيلة. فما كان في أواخر الخمسينيات مهمة وطنية مُفعَمة بالإيديولوجيا، تحوّل لدى كثيرين إلى فرصة سانحة للإثراء عبر العمولات والمصالح غير المشروعة. ولا يزال كثير ممن خدموا في أفريقيا يُصرّون على أن الإسرائيليين أصيبوا بعدوى المناخ المحلي، الذي كانت الرشاوى و«العمولات» فيه جزءًا طبيعيًا من أسلوب الحكم.

ويبدو أن ما جرى في أوغندا يظل المثالَ الأبرز على فقدان السيطرة، واستغلال النفوذ، وأوهام العظمة التي اعترت المندوبين الإسرائيليين في أفريقيا. فقد استغل المبعوثون فروق أسعار الصرف لجني أموال طائلة، منتهكين بذلك قوانين أوغندا وإسرائيل معًا. وكان النبذ والإقصاء هو مصير كل من حاول الوقوف ضد هذه الممارسات الفاسدة.[523]

وازداد الوضع سوءًا حينما استسلم جزء من بعثة سلاح الجو لإغراءات الحياة بعيدًا عن الوطن[524]. فقد تمكن أعضاء البعثة الإسرائيلية في تحويل (فيشات) كازينو نيروبي — التي اشتروها بالعملة الكينية المحلية — إلى دولارات، محققين أرباحا طائلة. يضاف هذ ا إلى المكاسب الضخمة من لعب القمار ذاتها، والتي كان غالبا ما يكسبها أفراد سلاح الجو.[525]

وتفاقم الوضع إلى درجة جعلت السلطات الكينية وممثلي الدول الغربية يلحظون ذلك النشاط الجوي غير الاعتيادي. وقد صادف أن تزامنت إحدى النزهات الجوية الترفيهية لمندوبي سلاح الجو من كامبالا إلى نيروبي، مع نقل الموساد لشحنة متفجرات فائقة السرية عبر كينيا وأوغندا إلى المتمردين في جنوب السودان. وكادت الضجة التي أثارها روّاد عشاق القمار أن يعطّل عملية نقل السلاح بالكامل.[526] وساد الغضب أوساط عملاء الموساد في كينيا، الذين طالبوا بإجراء تحقيق عاجل مع البعثة العسكرية الإسرائيلية في أوغندا وقائدها باراليف.[527]

ويتذكر (يوري لوبراني)، السفير الإسرائيلي السابق لدى أوغندا:

"لم يمضِ وقت طويل على وصول (بوركا)، حتى ساورتني شكوكٌ عميقة في أخلاقياته وسلوكه، فذهبت إلى (موشيه كاشتي)، مدير عام وزارة الدفاع، وقلت له: 'ثمة رائحة نتنة هنا، وعليك مراقبة (بوركا)". كان (كاشتي) دمث الأخلاق. فابتسم لي وقال: 'ماذا تريد مني أن أفعل؟ أَتكَمُّمُ ثَوْرًا وَهُوَ يَدْرُسُ القمح؟ [اقتباس من نص توراتي].. ربما يكون (بوركا) يُنحي بعض المال جانبًا. ماذا تريدني أن أفعل؟ أ تريدني أن افتح تحقيقًا؟

لم يرغب (كاشتي) في أن أتلوث، ولو من بعيد، بقضية الحقائب المليئة بالأموال المخصصة لأمين و (أوناما)».[528]

هوامش

[523] أعيد ضابط واحد حاول اتخاذ إجراءات ضد الفساد إلى إسرائيل، وذلك وفقًا للمقابلة مع (زئيف بار سيفر).

[524] كما يتذكّر قائد سابق في الموساد في إفريقيا: « عندما بُني الكازينو في نيروبي، خرج كل شيء عن السيطرة تمامًا. رجال سلاح الجو وقعوا في غرام المكان. كانوا يأخذون طائرات من البعثة، يهبطون في مطار ويلسون، ويدخلون المدينة لقضاء ليلة صاخبة من القمار والنساء». (مقابلة مع CS 6).

[525] وبسبب هذه الممارسات، طرد رئيس بعثة سلاح الجو، (أمنون هليفني)، كلاً من فني راديو وفني إشارات من أوغندا. (مقابلات مع هليفني، آفي-عاد، CS 6).

[526] المصدر نفسه.

[527] المصدر نفسه. أرسل (ريوڤين ميرهاف)، رئيس البعثة، برقية مشفّرة إلى مقر الموساد في تل أبيب، مع نسخ إلى الجيش و وزارة الخارجية و وزارة الدفاع. و وفقًا لميرهاف ومصادر أخرى، كان مضمونها:

«إذا كان أفراد البعثة العسكرية الإسرائيلية في اوغندا يريدون اللهو وكسب بعض المال على الجانب، فذلك ليس شأننا، لكن عليهم أن يتركوا كينيا خارج الموضوع. هناك الكثير من العمليات السرية الجارية هنا ولا يمكن السماح لهذه العصابة بأن تعرّضها للخطر». وفي مقابلة، استعاد (ميرهاف) مضمون البرقية، التي لا تزال سرية بحد ذاتها. وقد فشلت كل المحاولات لإقناع الأرشيف الإسرائيلي بنشرها. ومع ذلك، يمكن العثور على تعليق وزارة الخارجية على برقية (ميرهاف) وتقريره الشفهي إلى نائب المدير العام للوزارة في: (ي. شيموني)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية، إلى (ر. ميرهاف)، رئيس بعثة الموساد في نيروبي، 21.6.1972، PC، [شخصي].

[528] مقابلة مع (يوري لوبراني). وهو يشير إلى (فيليكس أوناما)، وزير الدفاع الأوغندي.

الصفحتين 135 و 136

كانت أموال الرشاوى هذه تُنقل عادةً إلى (باريليف) ، الذي كان يقوم بعد ذلك بدفعها إلى أمين و (أوناما) في معظم الحالات. فعلى سبيل المثال، خلال زيارة روتينية إلى إسرائيل، طُلب من (أمنون هليفني) الحضور إلى وزارة الدفاع في تل أبيب:

«استُدعيت إلى أحد مكاتب قسم العلاقات الخارجية في الوزارة، فسلّموني حقيبة سوداء من نوع سامسونايت—ذات قاع سري، كما في أفلام الجاسوسية. وفيها، على ما أذكر، ما يقارب خمسين ألف

دولار. ووقعت على استمارة خاصة أقرّ فيها باستلام المبلغ، الذي كان عليّ تسليمه باليد إلى (باريلف) شخصيًا. أخذتني رعدة من مجرد التفكير في السفر بمبلغ ضخم كهذا. فحشوتُ الحقيبة بوثائقي الشخصية وبعض الصحف، تحسّبًا لأي تفتيش.

حال وصولي إلى أوغندا، انطلقت إلى (باريلف) فورا؛ أردتُ التخلّص من الحقيبة. طلبتُ منه التوقيع على إيصال باستلام المبلغ ، لكنه رفض. نظر إليّ شزرًا وقال ليس هكذا تجري الأمور في إفريقيا.» [529]

وتطابقت المعلومات التي جمعها الموساد مع شكاوى أخرى وصلت مقرّ قيادة الجيش الإسرائيلي.[530] فانتقل العميد (رفائيل فاردي)، قائد قسم التحقيقات الداخلية في الجيش، إلى أوغندا للتحقيق.[531] وتمخض تحقيقه عن نتائج مثيرة للقلق، استدعت إعادة (باريلف) إلى إسرائيل.

أما التحقيق الذي أُجري لاحقًا في إسرائيل تحت إشراف مفوّض الشرطة الإسرائيلية (هارون شلوش)، فقد خلص أيضا إلى نتائج مُزعجة، تضمّنت شبهات قوية بسرقة أجزاء من أموال الرشاوى و مشاركة (باريلف) للرئيسَ أمين في رحلات صيد جامحة عبر المحميات الطبيعية الشاسعة في أوغندا. و تهريب آلاف من أنياب العاج إلى إسرائيل، تُقدَّر قيمتها بملايين الدولارات. وغير ذلك من المخالفات.[532]

الهوامش:

[529] مقابلة مع (هليفني).

[530] اشتكت زوجة أحـ د كبار أعضاء البعثة، أثناء زيارتها لإسرائيل، إلى (الجنرال دافيد إليعازر)، الذي نقل الشكوى إلى رئيس الأركان (مقابلة مع (ر. بيرلي)).

[531] أجرى معظم جلسات الاستجواب في جناح استأجره في فندق أبولو (الذي أصبح لاحقًا فندق هيلتون).

[532] مقابلات مع (شلوش) و (آفي-عاد).

أُجبر باريليف على التقاعد من الجيش، لكنه لم يُحاكَم قط. [533]

ومثالٌ حيّ آخر كان الجولة التي قام بها في إفريقيا (أربيه هدار) و اسمه الحركي (باشوش)[534]. وهو محقق مخضرم في (الشاباك) أصبح لاحقًا رئيس قسم التحقيقات. (هدار) أُرسل في مهمة إلى أفريقيا في أغسطس 1970 حيث أمضى خمسة أسابيع يتنقل بين الدول، يزور الملحقين العسكريين وعناصر الموساد وممثلي الخارجية. وقد أشار لاحقًا إلى تلك الرحلة بوصفها «الانهيار الثلجي العظيم». ففي كل محطة حلّ بها (هدار) ومعه جهاز كشف الكذب الخاص به، كانت تنكشف فضائح واختلاسات هائلة — لم تشهد مؤسسات العمل الخارجي الإسرائيلية مثيلًا لها من قبل. [535]

حتى قبل جولة (هدار) في إفريقيا، كان سفير إسرائيل في كينيا (زئيف ليفين) قد أنهى مسيرته المهنية في وزارة الخارجية نهايةً مُشينة، عندما صرف ميزانيةً خُصِّصَت لإقامة حفل في مقر اقامته. –بيد ان الحفل لم ير النور طبعا. [536] فاستُدعي (ليفين) إلى إسرائيل، وخضع للاستجواب، ثم استقال لاحقًا من وزارة الخارجية. [537]

وقد دارت أغلب اكتشافات (هدار) حول صلات غير مشروعة بين دبلوماسيين إسرائيليين و سماسرة صرف عملة هنود [538] ولم يصمد عددٌ كبير من الموفدين الإسرائيليين أمام الإغراء، بل حَوَّلوا هذه الممارسة إلى آلية مُمنهجة، مراكمين من خلالها ثرواتٍ ضخمة.[539]

الهوامش:

[533] في نهاية المطاف، قرر المستشار القانوني للحكومة أن يتقاعد (باراليف) من خدمته كضابط في الجيش الإسرائيلي وأن يُستبدَ ل بغيره في أوغندا. غير أنّ المستشار رأى أنه لا توجد أدلة كافية بخصوص سرقة أموال الرشاوى المخصّصة لأمين و (أوناما) ، كما أن قانون العقوبات لم يكن واضحًا بما يكفي في مسألة تلقي الهدايا من قادة أجانب؛ ولذلك لم يُقدَّم إلى المحاكمة. تقاعد (باراليف) من الجيش، وهاجر بعد سنوات إلى الولايات المتحدة.

[534] «طائر مغرِّد».

[535] مقابلات مع (أرييه هدار) (باشوش)، (ميرهاف)، (CS 6).

[536] مقابلة مع (دافني).

[537] وذلك وفق قرارٍ مشترك اتخذه (حنان بار-أون)، رئيس قسم إفريقيا، والمدير العام لوزارة الخارجية (جدعون رافائيل) (انظر مقابلات مع (بار-أون) و (ميرهاف). وقد رفض (رافائيل) التعليق على ذلك).

[538] في بعض بلدان شرق إفريقيا، عرض رجال أعمال ومموّلون هنود على أعضاء السلك الدبلوماسي (الذين كانوا يتقاضون رواتبهم بشيكات مصرفية أو نقدًا بالدولار) أسعار صرف تزيد بما يصل إلى 40% على السعر الرسمي، وذلك مقابل مساعدتهم على تهريب أصولهم إلى الخارج. ففي أواخر ستينيات القرن العشرين وبدايات سبعينياته، شهدت عملات شرق إفريقيا ضعفًا شديدًا. وفي الوقت نفسه، بدأت الحكومات في الجزء الشرقي من القارة — ولا سيما في أوغندا و كينيا — باتخاذ إجراءات جعلت حياة الجالية الهندية المحلية أكثر صعوبة بكثير. وعلى الرغم من أن عدد أفراد هذه الجالية كان محدودًا نسبيًا، فإنها كانت تسيطر على غالبية النشاط الاقتصادي الخاص. ومع تشديد سياسات الجوازات، خشي الهنود من تأميم أصولهم، فسعوا إلى تهريب جزء كبير من ثرواتهم إلى الخارج. وبما أن العملة المحلية لم تكن قابلة للتحويل في بلدان أخرى، حاول الهنود استبدال (الشلنات) التي بحوزتهم الى دولارات.

[539] مقابلات مع (CS 6)، (ميرهاف)، (آفي-عاد)، (شلّوش).

الصفحة 138

هاتان ليستا سوى حالتين من بين حالات عديدة تُظهر التدهور الأخلاقي الذي أصاب المبعوثين الإسرائيليين في إفريقيا. ومن الحالات الأخرى:

- قيام عدد كبير من المسؤولين الإسرائيليين في إثيوبيا بتحويل قضاء الوقت مع البغايا إلى نشاط اعتيادي؛[540]

• الكشف عن فساد كبير في غرفة التجارة الإسرائيلية–الجنوب إفريقية (ISATA)، عندما ضُبط المدير الإسرائيلي متلبسًا بسرقة إيرادات الغرفة؛[541]

• محاولات قام بها مبعوث إسرائيلي لتهريب مبالغ طائلة من العملات الأجنبية خارج كينيا (1973)؛[542]

• كشف العقيد (الذي أصبح لاحقًا عميدًا) (ديفيد أغمون) عن فساد بين مدرّبي المظليين التابعين للجيش الإسرائيلي في زائير (1967)؛[543]

• فساد بين ضباط شرطة إسرائيليين كانوا يعملون في إثيوبيا؛[544]

• فساد في شركة إسرائيلية كانت تنشط في جمهورية إفريقيا الوسطى.[545]

وتشير حالات اخرى وقعت خلال ثمانينيات القرن العشرين إلى أن هذا الجانب من 'الدبلوماسية' الإسرائيلية في إفريقيا قد تحول لاحقا إلى سمة ملازمة، وإن كانت بغيضة، لمجمل المغامرة الإسرائيلية في القارة.

هوامش

[540] في إحدى الحالات، ضُبط ضابط استخبارات إشارات (SIGINT) إسرائيلي من الوحدة 8200 داخل بيت دعارة في الوقت الذي كان من المفترض أن يكون فيه على رأس عمله في موقعه، فتمت إعادته إلى إسرائيل. وقد جرى توثيق هذه القضية ونشرها عام 2003 ضمن دراسة تاريخية مصنّفة وسرّية عن الوحدة 8200، اطّلع عليها المؤلف لكنها لم تُسلَّم له.

[541] (س. بنيسور)، المفتش العام في وزارة الخارجية، إلى نائب المدير العام لوزارة الخارجية، 1972/7/9، أرشيف الدولة الإسرائيلية 5309/3 (ISA) [سري]؛ (أ. كيدرون)، قسم إفريقيا بوزارة الخارجية إلى نائب المدير العام لوزارة الخارجية، بعنوان: « الاشتباه في اختلاس (أ. بن يوسف)»، 1972/7/9، ISA 5309/3؛ (ي. أونا)، القنصل العام في جوهانسبرغ إلى (أ. كيدرون)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية، 1972/6/21، ISA 5309/3 [سري]؛

(أ. كيدرون)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية إلى (ي. أونا)، القنصل العام في جوهانسبرغ، بعنوان: «غرفة التجارة الإسرائيلية–الجنوب إفريقية (I.S.A.T.A) – اختلاس أموال»، 1972/7/9، ISA 5309/3 [سري]؛

(ي. أونا) ، القنصل العام في جوهانسبرغ إلى (أ. كيدرون)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية (وآخرين)، بعنوان: «Y.S.A.T.A.»، 1972/6/4، ISA 5309/3 [سري].

[542] (م. روزن)، المستشار القانوني لوزارة الخارجية، إلى (ج. باخ)، المدعي العام للدولة، 1973/4/1، ISA 5384/28 [سري]؛ مذكرة بعنوان «ملخص محضر التحقيق»، جهاز الأمن العام (الشاباك)، آذار/مارس 1973، ISA 5384/28؛ (ر. دافني)، سفير إسرائيل في نيروبي، إلى (م. شاليف)، مدير قسم إفريقيا (أ) في وزارة الخارجية، 1973/3/29، ISA 5384/28 [سري، شخصي]؛ (ر. دافني)، مذكرة داخلية من سفارة نيروبي، 1973/3/29، ISA 5384/18 [سري].

[543] (أولان)، Africa، ص 212–214.

[544] (يوري لوبراني)، سفير إسرائيل في أديس أبابا، إلى مدير قسم إفريقيا في وزارة الخارجية، 1968/9/12، ISA 4175/3 [سري].

[545] (ماعوز)، سفارة إسرائيل في بانغي إلى وزارة الخارجية، ISA 4621/6 [فوري].

صفحة 139

الفصل الثامن: السقوط الكبير – هزيمة إسرائيل في إفريقيا

قبيل حرب أكتوبر 1973 (حرب يوم الغفران) بقليل، أو بعدها مباشرة، قطعت معظم الدول الإفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، وأمرت بالإغلاق الفوري للمكاتب الإسرائيلية ومعظم الشركات الخاصة،[546] وبإجلاء العاملين الإسرائيليين.[547] وقد جرى ذلك تحت ضغط عربي كثيف، رافقته عمليات رشوة وابتزاز، مما أسفر عن أشد هزيمة دبلوماسية تعرضت لها إسرائيل على الإطلاق، وعن نصر كبير للتحالف العربي.[548]

وجدت إسرائيل نفسها فجأة أمام تطورات لم تكن مستعدة لها. ففي فترة قصيرة، خسرت ما كان يُعتبر إحدى ركائز دعمها الأساسية على المستوى العالمي. وباءت كل محاولاتها لوقف هذا الانهيار الجارف بالفشل. لقد كانت لإسرائيل علاقات مع 32 دولة أفريقية في مطلع 1972، غير أن العدد تقلّص بحلول يناير 1974 إلى خمس دول فقط حافظت على علاقاتها معها. أما جميع الدول الأخرى، بما فيها تلك التي قادها زعماء اعتبرتهم إسرائيل أصدقاءها الحميمين، مثل الإمبراطور (هيلا سيلاسي) والرئيس عيدي أمين، فقد أدارت ظهرها لها تماماً.[549]

لا يتناول هذا البحث الرؤية الإفريقية للعلاقات الإسرائيلية–الإفريقية. فمثل هذا التحليل، بما في ذلك الأسباب التي دفعت الدول الإفريقية إلى قطع علاقاتها مع إسرائيل، يتطلب دراسة مستقلة. غير أنّ أي دراسة تسعى إلى تقديم تسلسل زمني للنشاط العسكري والاستخباري الإسرائيلي في إفريقيا لا يمكنها تجاهل حجم ودلالة حدث من هذا النوع.

هوامش

[546] ألحقت كينيا وساحل العاج ونيجيريا أضرارًا بالمصالح التجارية الإسرائيلية، إلا أنّ هذه الأضرار كانت محدودة.

[547] فيما يلي الدول الإفريقية التي قطعت علاقاتها مع إسرائيل، وتواريخ إنهاء العلاقات: أوغندا – 1972/3/30؛ تشاد – 1972/11/28؛ الكونغو (برازافيل) – 1972/12/31؛ النيجر – 1973/1/5؛ مالي – 1973/1/5؛ بوروندي – 1973/5/16؛ توغو – 1973/9/21؛ زائير – 1973/10/4؛ رواندا – 1973/10/8؛ داهومي – 1973/10/9؛ فولتا العليا – 1973/10/10؛ الكاميرون – 1973/10/13؛ غينيا الاستوائية – 1973/10/14؛ تنزانيا – 1973/10/19؛ مدغشقر – 1973/10/20؛ جمهورية إفريقيا الوسطى – 1973/10/21؛ إثيوبيا – 1973/10/23؛ نيجيريا – 1973/10/25؛ غامبيا – 1973/10/26؛ زامبيا – 1973/10/26؛ سيراليون – 1973/10/27؛ غانا – 1973/10/28؛ السنغال – 1973/10/28؛ الغابون – 1973/10/29؛ كينيا – 1973/11/1؛ ليبيريا – 1973/11/2؛ ساحل العاج – 1973/11/8؛ بوتسوانا – 1973/11/12. (التواريخ مأخوذة من: مكتب المدير العام لوزارة الخارجية، نشرة معلومات اساسية رقم 18 بعنوان «الدول التي قطعت علاقاتها مع إسرائيل (1972–1973)»، بتاريخ 1973/11/28، أرشيف دولة إسرائيل 2/5311 [سري]).

[548] حـ ول الهزائم الإسرائيلية الكبرى في إفريقيا، انظر التقرير والتحليل التاليين الصادرين عن الموساد ووزارة الخارجية: مراجعة/مذكرة داخلية لوزارة الخارجية بعنوان فرعي «**تشاد قطعت علاقاتها مع إسرائيل**»، دون تاريخ، أرشيف دولة إسرائيل 2/5310؛ مراجعة/مذكرة داخلية لوزارة الخارجية بعنوان فرعي «إغلاق مكاتب السفارة الإسرائيلية في نيامي وبرازافيل»، بتاريخ 1972/12/29، أرشيف دولة إسرائيل 2/5310 [سري للغاية – للمخاطَب فقط]؛ الموساد، دائرة الأبحاث، دراسة خاصة بعنوان «إفريقيا–إسرائيل»، بتاريخ 1972/12/6، [سري].
[549](عوديد) ، إفريقيا والصراع في الشرق الأوسط، ص 50–51.

الصفحة 140

في الواقع، قد يوحي انهيارٌ بهذه الجسامة والسرعة لمشروعٍ ما، بأنه كان منذ البداية أقرب إلى صرح واهٍ، وأن الاعتقاد اسرائيل بكون وجودها في أفريقيا متجذراً — وإن كان سرياً — لم يكن ينبغي ان يُؤخذ كمسلّمة. وربما يُستخلص من ذلك أن الإذلال المدمر الذي طُردت به إسرائيل من أفريقيا، يشير بالضرورة إلى فشل الحملة برمتها، أي أن السنوات الطويلة والموارد الهائلة التي أهدرت في أفريقيا، قد تهاوت كلها كبيت من ورق."

يتناول هذا الفصل الهزيمة الإسرائيلية في إفريقيا كما تتكشف من خلال وثائق الأجهزة الإسرائيلية المعنية بتسجيل ما حدث و تحليله. وهو يقدّم جملة من الاستنتاجات التي، وإن كانت تستند أساسًا إلى أدلة أحادية الجانب، فإنها تطرح مع ذلك منظوراً جديداً للأحداث.

سردية الانهيار

لم تبذل سوى قلة من الدول العربية جهداً يُذكر لاحتوا ء الحملة الإسرائيلية في أفريقيا وإلحاق الضرر بها. 550 وكان الأبرز نشاطا بين جميع الدول العربية في هذا المجال هو ليبيا، بقيادة معمر القذافي."551 إذ تبين تقديرات الاستخبارات الإسرائيلية، أن القذافي بذل قصارى جهده لتوسيع نفوذه في القارة الإفريقية مدفوعا بالطموحات التالية:

- ترسيخ مكانته كقائد افريقي، تماشيًا مع تطلعاته ليكون زعيما قوميا عربيا؛
- تعزيز مكانة الاسلام في إفريقيا؛
- تخليص القارة من النفوذ الاقتصادي والسياسي الإسرائيلي ونفوذ وكالة التعاون الدولي و التنمية (MASHAV) التابعة للخارجية الإسرائيلية.
- تخليص أفريقيا من آخر معاقل الإمبراطوريات الاستعمارية.

أما أساليب عمل القذافي، بحسب الاستخبارات الإسرائيلية، فقد شملت:

- دعوة رؤساء الدول لزيارة ليبيا؛
- توزيع الأموال 552
- دعم المؤسسات التعليمية والدينية الإسلامية 553
- توسيع العلاقات الدبلوماسية 554
- توقيع معاهدات صداقة؛
- دعم الحركات الإسلامية السرية؛
- المطالبة بقطع العلاقات مع إسرائيل مقابل تقديم المساعدات الليبية؛ 555

هوامش

[550] مثل توصية المجلس الاقتصادي لجامعة الدول العربية في ديسمبر 1972 [في النص الأصلي: المجلس المالي لجامعة الدول العربية. في الحقيقة لا يوجد جسم بهذا المسمى في جامعة الدول العربية و يبدو انه يقصد المجلس الاقتصادي .. المترجم] (انظر: شعبة التحليل في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، مذكرة داخلية، يناير 1973).

[551] توجد تهجئات متعددة لاسم الطاغية الليبي. تعتمد هذه الدراسة التهجئة المعتمدة اليوم لدى وكالة الاستخبارات المركزية.

[552] حصلت النيجر على قرض بقيمة 4 مليارات نايرا (الليرة النيجيرية) [على الأرجح 4 مليون نايرا (حوالي 5 مليون دولار)و ليس 4 مليار. المترجم]، إضافة إلى «هبة صداقة» بقيمة 800 مليون فرنك. ووُعِدت جمهورية إفريقيا الوسطى بقرض قدره 28 مليون دولار أمريكي، بينما حصلت غينيا الاستوائية على قرض بقيمة مليون دولار أمريكي (24-01-1971). وفي بيان مشترك صدر في ختام زيارة وفد ليبي إلى كمبالا (27-02-1972)، وعدت ليبيا بتقديم مساعدات اقتصادية.

[553] خُصِّص مبلغ مليون دولار أمريكي لبناء مركز إسلامي في النيجر (06-04-1971)، كما تعهّد الوفد الليبي بتقديم مساعدات إلى اوغندا لبناء مؤسسات إسلامية، مثل المدارس والمساجد، وإيفاد المعلّمين وتوفير الكتب.

[554] رفعت ليبيا عدد الدول التي تقيم معها علاقات دبلوماسية. وتُقيم ليبيا اليوم علاقات دبلوماسية مع: نيجيريا، والنيجر، وموريتانيا، والسنغال. وتوجد سفارتان صومالية وسنغالية في طرابلس، لكن لا توجد سفارات ليبية في هذين البلدين. وقد وافقت ليبيا على إقامة علاقات مع زائير (يناير 1969)، وكينيا (يوليو 1969)، والكاميرون (أغسطس 1969)، وفولتا العليا (نوفمبر 1970)، وإن كان من المرجّح أنها لم تصل بعد إلى تبادل التمثيل الدبلوماسي. كما أن سفيري تنزانيا وغينيا لدى مصر يعتمدان أيضًا سفراء [غير مقيمين] لدى ليبيا.

[555] تقرير عن النشاط الليبي في إفريقيا، الموساد، 2.4.1972.

الصفحة 141

بالمقابل حفزت الأنشطة الحثيثة للزعيم الليبي في إفريقيا دولاً عربية أخرى، مثل السعودية والجزائر (منافِسَتَي ليبيا)، وكذلك الكويت، التي كانت تبحث عن مجالات جديدة لاستثمار الأموال الطائلة التي بحوزتها.

الصورة التي تكشفت من التقارير الموسعة لوزارة الخارجية الإسرائيلية والموساد تظهر نشاطًا ليبيًا وعربيًا مكثّفًا ضد التواجد الإسرائيلي في أفريقيا. وكان تقييم الموساد أن التزام الافارقة باتباع قرارات المحافل الدولية قد ازداد، وهذا يشمل موضوع الصراع في الشرق الأوسط والتصريحات والقرارات المناهضة لإسرائيل.

هوامش

[556] وزير الخارجية إلى رئيس الوزراء، بعنوان «إفريقيا–إسرائيل»، 27.6.1973، أرشيف دولة إسرائيل 7/5310 [سري]؛ (هـ. رافائيل)، سفير مدغشقر إلى المدير التنفيذي لقسم إفريقيا، وزارة الخارجية، بعنوان «اتصالات ليبيا مع مدغشقر وموريشيوس»، 12-07-1973، أرشيف دولة إسرائيل 14/5311 [سري]؛ تقرير وزارة الخارجية بعنوان «إفريقيا – الدول العربية» (ص 19–26)، دون تاريخ، أرشيف دولة إسرائيل 4/5310 [سري]؛ تقرير وزارة الخارجية بعنوان «إفريقيا – الدول العربية» (ص 28–29)، دون تاريخ، أرشيف دولة إسرائيل 4/5310 [سري]؛ (س. ماركوس)، مكتب المدير العام إلى (أ. شيرف)، الموساد، بعنوان «الأموال الليبية والسعودية إلى دول إفريقيا»، 25-01-

1973، أرشيف دولة إسرائيل 14/5311 [سري]؛ (ن. غيرشوم)، السفير [إسرائيل لدى الكونغو .. المترجم]برازافيل إلى قسمي إفريقيا أ+ب في وزارة الخارجية، بعنوان «علاقات ليبيا بإفريقيا السوداء»، 18-07-1972، أرشيف دولة إسرائيل 14/5311 [سري]؛ قسم الأبحاث بوزارة الخارجية إلى مدير قسم إفريقيا، بعنوان «بشأن السياسة العربية المعادية لإسرائيل في إفريقيا»، 15-03-1973، أرشيف دولة إسرائيل 11/5309 [سري للغاية، للمخاطَب فقط]؛ مذكرة قسم الأبحاث في الموساد بعنوان «النشاط العربي في إفريقيا»، 16.11.1973، PC [سري]؛ مذكرة قسم الأبحاث في الموساد بعنوان « ملخص النشاط العربي في إفريقيا»، 15-01-1973، PC [سري]؛ (هـ. أينور)، وزارة الخارجية إلى السفير، بانغي، (بشأن استعداد (بوكاسا) [جمهورية إفريقيا الوسطى] للترويج للمصالح العربية في إفريقيا، مقابل حصوله على 30 مليون دولار أمريكي من ليبيا)، 20-05-1971، أرشيف دولة إسرائيل 15/4621 [سري].

[557] تقرير الموساد « تأثير الهجوم العربي على مكانة إسرائيل في القارة»، 18-09-1973، PC [سري].

صفحة 142

قضية أوغندا

تلقّت إسرائيل أول لطمة لها في أفريقيا من أقرب أصدقائها، الجنرال عيدي أمين. وعند استذكار الشأن الأوغندي، استخدم (يوري لوبراني) عبارة عبرية شائعة تقول: (مع أصدقاء كهؤلاء، لا حاجة بك إلى أعداء). [558] وبقدر ما كانت العلاقة وثيقة وحميمة مع من اعتبرته إسرائيل أشد معجبيها في أفريقيا، بقدر ما كان تقلّب موقف الرئيس أمين سريعًا ومتطرفًا. فقد انخرط أمين في القضايا الإسلامية والعربية، [559] وابتداءً من أواخر عام 1971 قام بعدة زيارات إلى ليبيا. [560] وفي الوقت ذاته، وبلا علاقة ظاهرة بين الأمرين، بدأ أمين يُلقي ظلالاً من الشك على جوانب من عمل بعثة الجيش الإسرائيلي، ولا سيما مدرّبي سلاح الجو.

وعقب اختتام زيارة إلى طرابلس، أصدر الرئيس أمين والطاغية الليبي القذافي بياناً مشتركاً تضمّن اتهامات حادة معادية للغرب. [561]

هوامش

[558] مقابلة مع (لوبراني).

[559] قسم إفريقيا بوزارة الخارجية إلى عدد من السفارات، 04-04-1972، أرشيف دولة إسرائيل 6/5298 [سري، عاجل جدًا]. وفي هذا السياق، وعلى سبيل المثال، اتصل امين بـ(بانا يسّا)، وهو محامٍ كان يمثّل شركة (سولِل-بونِه) الإسرائيلية، إحدى كبرى شركات البناء الإسرائيلية العاملة في مشاريع واسعة في أوغندا، و يمثل كذلك السفارة الإسرائيلية منذ سنوات طويلة، وأبلغه أنه عميل إسرائيلي ويجب إطلاق النار عليه وإعدامه في وسط كمبالا. في اعقاب ذلك أبلغ (بانا يسّا) شركة (سولِل-بونِه) و وزارة الخارجية بأنه لن يكون قادرًا على تمثيلهما (نيروبي إلى وزارة الخارجية، 07-04-1972، أرشيف دولة إسرائيل 6/5298 [سري، عاجل جدًا]).

[560] تقرير وزارة الخارجية بعنوان «تدهور العلاقات بين امين وإسرائيل»، دون توقيع، 07-03-1972، أرشيف دولة إسرائيل 4/5298 [غير مصنّف].

[561] نص البيان المشترك الذي صيغ ونُشر في طرابلس (14-02-1972) في ختام زيارة زعيم أوغندا عيدي امين إلى ليبيا:

أعرب الطرفان عن رغبتهما في تعميق وتعزيز الروابط بينهما لما فيه خير شعبيهما، واتفقا على إقامة علاقات سياسية متبادلة؛

دعم الطرفان «نضال الدول الإفريقية»؛

وفيما يتعلق بالشرق الأوسط، عبّر الرئيسان عن دعمهما لحقوق الأمة العربية، والنضال العادل ضد الصهيونية والإمبريالية لتحرير الأرض العربية المغتصبة، وحق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه ودياره بكل السبل الممكنة؛

اتفق الرئيسان على أن الدين والقومية هما صانعا التاريخ ويحفّزان الأمة نحو التقدم والثورة، وأن الإسلام هو أفضل مثال على ذلك؛

اتفق الرئيسان على أن العالم الثالث يواجه مؤامرة تطويق من الخارج وخطر «الغزوات الأيديولوجية الزائفة»، وأنه بحاجة إلى «أيديولوجيا ثالثة» تهديه في طريق التقدم والاستقلال؛

كما اكتشف الطرفان تطابقًا في نظرتهما إلى أن الاشتراكية هي العامل الأهم في منع التخلف، وأنها تشكّل رادعًا تقدميًا ذاتيًا في مواجهة الغزو الأيديولوجي الجنوبي [الشرقي و ليس الجنوبي.. على الأرجح.. تصحيح المترجم] والغربي.

(يرد نص البيان في مذكرة صادرة عن وزارة الخارجية، قسم الأبحاث، 16-02-1972، أرشيف دولة إسرائيل 8/5298).

صفحة 143

و عدت ليبيا عيدي امين بإرسال فنيين عسكريين و منحه مبلغ 10 ملايين جنيه إسترليني، شريطة قطع العلاقات مع إسرائيل. وشرع امين باتخاذ خطوات في هذا الاتجاه حتى قبل تنفيذ الوعود الليبية. [562]

في البداية، وعند ردّها على زيارة عيدي امين إلى طرابلس، حاولت إسرائيل انتهاج الصرامة معه: «يجب أن نكون حازمين مع امين بشأن البيان الذي وقّعه مع القذافي». [563] إلا أن امين، وللمرة الأولى، لم يُبدِ اكتراثًا.

ومنذ تلك اللحظة تسارع التدهور: فقد أعلن امين أولاً أنه لن يُجدّد العقود العسكرية والاستخبارية مع إسرائيل. [564] ثم طالب بالإجلاء الفوري لجميع الأفراد التابعين للجيش الإسرائيلي والموساد، [565] ثم إجلاء جميع الشركات والمؤسسات التجارية. [566] وفي 30 مارس 1972، أمر امين بإغلاق السفارة الإسرائيلية في كمبالا، لتبلغ بذلك ذروة الخطوات التصعيدية التي اتخذها ضد إسرائيل، والتي رافقها تحريض شديد واتهامات خطيرة. وأغلقت إسرائيل سفارتها في كمبالا، وأكملت إجلاءها من أوغندا في 9 أبريل. [567] وأُنيطت رعاية جميع المصالح الإسرائيلية بالسفارة الإيطالية. [568]

فاجأت مواقف امين معظم المسؤولين الإسرائيليين المعنيين بالملف الإفريقي. [569]

هوامش

[562] الموساد إلى وزارة الخارجية، 31.3.1972، أرشيف دولة إسرائيل 31/5299 [سري، عاجل]؛ مذكرة قسم الأبحاث بوزارة الخارجية بعنوان «ليبيا – أوغندا»، 3.3.1972، أرشيف دولة إسرائيل 8/5298 [غير مصنّف]؛ (أ. هيرش)، قسم الأبحاث إلى مكتب وزير الخارجية بعنوان « برقية من عيدي امين إلى القذافي»، 27.7.1973، أرشيف دولة إسرائيل 10/5298 [غير مصنّف].

[563] (آبا إيبان)، وزير الخارجية إلى كمبالا، 16.2.1972، أرشيف دولة إسرائيل 8/5298 [سري، فوري].

[564] (د. لاؤور)، السفير، كمبالا إلى وزارة الخارجية ومساعد وزير الدفاع، 22.3.1972، أرشيف دولة إسرائيل 4/5298 [غير مصنّف، عاجل جدًا].

[565] (لاؤور)، سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية، 23.3.1972، أرشيف دولة إسرائيل 4/5298 [سري للغاية].

[566] (وولفوفتس)، سفارة كمبالا إلى وزارة الخارجية، القدس، 25.3.1972، أرشيف دولة إسرائيل 4/5298 [غير مصنّف، فوري].

[567] (م. شاليف)، وزارة الخارجية إلى سفارة كمبالا، 31.3.1972، أرشيف دولة إسرائيل 5/5298 [سري، عاجل].
[568] (ناغار)، سفارة روما إلى وزارة الخارجية، القدس، 28.3.1972، أرشيف دولة إسرائيل 5/5298 [سري، عاجل جدًا].
[569] حتى أواخر فبراير/شباط 1972 ، عبّر مسؤولون في الموساد ووزارة الخارجية عن ثقتهم بعلاقاتهم «الرائعة» مع أوغندا. وكان مدير عام وزارة الخارجية (م. غازيت) لافتًا في ثقته (انظر محضر جلسة لجنة الكنيست للأمن والشؤون الخارجية، 22.2.1972 [سري])؛ وانظر أيضًا (د. لاؤور)، كمبالا إلى رئيس قسم إفريقيا بوزارة الخارجية، 24.2.1972، أرشيف دولة إسرائيل 4/5298 [سري للغاية]. كما قدّم ممثل الموساد في كمبالا تطمينات بأنه لا يُتوقع أي أمر استثنائي (د. بار- غيورا، الموساد إلى وزارة الخارجية، 6.3.1972، أرشيف دولة إسرائيل 4/5298 [سري، فوري]؛ (د. لاؤور)، السفير، كمبالا إلى وزارة الخارجية، القدس، 29.2.1972، أرشيف دولة إسرائيل 4/5298 [سري للغاية، عاجل جدًا]). ومع ذلك، أساء بعض كبار مسؤولي وزارة الخارجية قراءة المؤشرات عندما لاحظوا أن «العديد من العلامات تدل على أنه قرر تبريد العلاقات مع إسرائيل» (مذكرة داخلية، قسم إفريقيا (أ) إلى (شيموني)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية، 17.2.1972، أرشيف دولة إسرائيل 22/4551 [سري]؛ (م. ميرون)، الموساد إلى العميد (ي. بار-أون)، وزارة الدفاع، 23.2.1972، PC [سري]). وكان الوحيد الذي امتلك إدراكًا جزئيًا في مرحلة ما هو (أرييه عوديد) من قسم إفريقيا بوزارة الخارجية، غير أن هذا الإدراك جاء في مرحلة متأخرة جدًا (أ. عوديد، قسم إفريقيا (أ) بوزارة الخارجية إلى (ي. شيموني)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية، 17.2.1972، أرشيف دولة إسرائيل 8/5298 [سري]). وقبل ذلك، كان (عوديد) قد عبّر عبر قنوات عدة عن اعتقاده بأن إسرائيل نجحت بالفعل في «تربية» امين (أ. عوديد، قسم إفريقيا بوزارة الخارجية إلى (ي. باين)، السفارة في واشنطن، 21.11.1971، أرشيف دولة إسرائيل 32/4551 [سري]).

صفحة 144

في محاولتهم تحليل دوافع أمين لقطع علاقاته بإسرائيل، حدد كل من الموساد ووزارة الخارجية الإسرائيلية نمطين عامين من الأسباب: ما كان خارج نطاق سيطرة إسرائيل، وما ارتبط بسلوكها ذاته. وقد بات واضحاً أن أمين طور حساسية بالغة تجاه الاتهامات التي وجهتها إليه دول عربية عديدة — بكونه أداة طيّعة في يد إسرائيل [570] — وهو ما اساء الى كبرياءه. ثم جاءت العروض الليبية السخية لتشكل الوجه الإيجابي للعملة ذاتها. وهكذا انتهى الأمر بأمين إلى قبول رشوة القذافي وطرد الإسرائيليين.
تضمنت المجموعة الثانية من الأسباب ما رأته وزارة الخارجية مرتبطًا بسوء التصرف الإسرائيلي في أوغندا. وكانت هذه فرصة الوزارة للانتقام من الموساد و الجيش، لامتناعهما عن التعاون معها خلال فترة ازدهار العلاقة". [571]

وفيما يلي مقتطفات من تحليل كتبه مسؤولون كبار في وزارة الخارجية، في محاولة لفهم ما حدث:

كانت العجرفة و الصخب سمة تصرفات الإسرائيليين في أوغندا أينما شوهدوا— في المتاجر الكبرى، والمقاهي، والمطاعم. [572]

وقفت الشركات الإسرائيلية وراء تنفيذ مشاريع إنشائية ضخمة [أسنِدت عبر العقيد (بارليف)، وتخللتها رشى] لا تتناسب واحتياجات أوغندا الأساسية... ومن دون أي اعتبار لوضعها المالي...
حُرمت السفارة من فرصة توجيه عملياتنا الاقتصادية نحو قنوات إيجابية...
كما أن تورّطنا في الشؤون الخارجية لأوغندا أظهر، من دون داع، أننا نمسك بخيوط الدفاع في اوغندا وسياستها الخارجية، الأمر الذي دفع في نهاية المطاف امين لإثبات أننا لا نتحكم فيه. [573]

هوامش

[570] قال امين للإسرائيليين إن العرب، ولا سيما الليبيين، يتهمونه بما يلي: «لا يقوم بأي أمر دون موافقة إسرائيلية؛ الإسرائيليون خططوا للثورة؛ الإسرائيليون يدرّبون الجيش؛ الإسرائيليون يزوّدون بالسلاح؛ الإسرائيليون يبنون مطارات لتكون قواعد لسلاح الجو الإسرائيلي؛ ومن هذه القواعد ستُهاجَم الدول العربية؛ ضباط أوغنديون يخدمون في جيش الدفاع الإسرائيلي... وغير ذلك» (د. لاؤور، كمبالا إلى رئيس قسم إفريقيا بوزارة الخارجية، 24.2.1972، أرشيف دولة إسرائيل 4/5298 [سري للغاية]).

[571] حول الصراع بين وزارة الخارجية من جهة والموساد وجيش الدفاع الإسرائيلي من جهة أخرى، انظر الفصل 12.

[572] مذكرة داخلية بعنوان «أوغندا» ، (أ. عوديد) إلى رئيس قسم إفريقيا بوزارة الخارجية، 12-04-1972، أرشيف دولة إسرائيل 30/5299 [سري].

[573] (أ. عوديد)، مدير قسم إفريقيا إلى (ي. شيموني)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية، مذكرة داخلية بعنوان «أوغندا – إسرائيل»، 17-02-1972، أرشيف دولة إسرائيل 4/5298 [سري]؛

(أ. عوديد)، وزارة الخارجية إلى المدير العام لقسم إفريقيا، مذكرة داخلية بعنوان «أزمة العلاقات مع أوغندا – الأسباب والاستنتاجات»، 27-03-1972، أرشيف دولة إسرائيل 22/4551 [سري].

صفحة 145

كما قدّمت وزارة الخارجية سبباً إضافياً للتورط العسكر ي الإسرائيلي في أوغندا، متمثلاً في سعي إسرائيل لتحويل أوغندا إلى قاعدة دعم لمتمردي جنوب السودان.[574]

ولم تتردد الوزارة في انتقاد السفير انتقاداً لاذعاً لتحوّله إلى "مستشار للرئيس في أي أمر يخطر على باله".[575] فيما أشار تقرير آخر إلى أن: « سفارتنا كانت، إلى حدّ كبير، هي المبادر بالتدخل في شؤون أوغندا — خصوصاً في خلافاتها مع الولايات المتحدة، ورواندا، وزائير، وكينيا–تنزانيا... وهو ما انتهى إلى نتائج سلبيّة بالغة».[576]

ورغم السلوك العدواني لعيدي أمين، سعت إسرائيل في البداية للحفاظ على العلاقات مع أوغندا. فقد عقدَ منتدى خاص مشترك ضم ممثلي الموساد ووزارة الخارجية والجيش ووزارة الدفاع في مكتب المدير العام لوزارة الدفاع، أكّد أن: " الحفاظ على علاقات صحيحة مع أوغندا يكتسب أهميةً لأسباب سياسية واقتصادية وأمنية وتصديرية، ولأجل أنشطة الموساد في جنوب السودان". وبناءً عليه، تقرر أن "يعمل الموساد على إقامة علاقة مع أمين".[577].

وحتى اللحظة الأخيرة، ظلت إسرائيل تعتقد بإمكانية احتواء الأزمة الأوغندية، وبذلت جهوداً حثيثة لاسترداد الديون المستحقة لها من أوغندا.[578] وحاول الموساد، من جهته، الاستعانة بمصادره لمعرفة ما الذي كان يدور تحديدًا في رأس أمين.[579] أما وزارة الخارجية فقد زكت مقترحات وزارة الدفاع الرامية إلى إرسال مدير الموساد بصفة مبعوثٍ خاص إلى أمين حاملاً عروضاً استرضائية في المجالين العسكري والاستخباراتي.[580] بيد أن مدير الموساد (زمير) اعترض على هذا المقترح.[581]

هوامش:

[574] مسودة مذكرة بعنوان «إسرائيل–أوغندا–أسئلة»، وزارة الخارجية، 2.4.1972، أرشيف دولة إسرائيل ISA 5298/6.

[575] السفير في نيروبي إلى (غزيت)، المدير العام لوزارة الخارجية، 26.4.1972، ISA 5298/6 [سري، خاص].

[576] (عوديد) إلى رئيس الدائرة الإفريقية في وزارة الخارجية، 27.3.1972، ISA 5299/31 [سري].
[577] محضر اجتماع في مكتب المدير العام لوزارة الدفاع، 2.7.1972، ISA 5298/5 [سري].
[578] بلغ إجمالي ديون أوغندا لإسرائيل نحو 50 مليون دولار أمريكي ((د. كانترفيتز)، مراقب النقد الأجنبي في وزارة المالية إلى المدير العام لوزارة الخارجية، بعنوان «مطالب إسرائيل من أوغندا»، 6.6.1972، ISA 5298/7 [غير مصنّف]؛ (إ. ايفرون) ، القائم بأعمال المدير العام لوزارة الدفاع إلى المدير العام لمكتب رئيس الوزراء، 29.7.1973، ISA 5298/7 [سري]).
[579] (إ. إنغل)، الموساد إلى (ي. شيموني)، وزارة الخارجية، 31.3.1972، ISA 5299/31.
[580] (ي. شيموني)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية إلى وزير الخارجية، بعنوان «أوغندا»، 28.2.1972، ISA 5298/4 [سري، عاجل].
[581] (م. غازي) ، المدير العام لوزارة الخارجية إلى وزير الخارجية، 22.2.1972، ISA 5298/4 [سري للغاية].

صفحة 146

في ظل هذه الظروف، و وسط فشل كل المحاولات لإقناع عيدي أمين بمراجعة موقفه، لم يجد المندوبون الإسرائيليون أمامهم سوى فكاهة مريرة، غير مألوفة في نمطية التقارير الدبلوماسية.[582]
لقد رأت القيادة الإسرائيلية في التطورات الأوغندية كارثة استراتيجية بكل ما تحمله الكلمة من معنى.[583]

وعقب مطالبة أمين بالإخلاء الفوري لجميع الممثلين الإسرائيليين الرسميين و غير الرسميين من أوغندا، و خشية تعرّضهم للتهديد من الرئيس في حال بقائهم، أمرت رئيسة الوزراء (جولدا مائير) بتسخير كافة الموارد المتاحة لضمان خروج آ من لجميع الأفراد والممتلكات الإسرائيلية من أوغندا. وكُلّفت وزارة الدفاع بقيادة العملية (التي حملت الاسم الرمزي «أفيكومان»).[584] وجاءت تعليماتها على النحو الآتي: «يجب أن نبذل قصارى جهدنا لإنقاذ الممتلكات قبل أن نبدأ حملة التشهير المستحقة ضد هذا الرجل المجنون».[585] وقد نُفّذت العملية بنجاح.[586]

هوامش:

[582] كتب السفير (السابق) في كامبالا: « سمعتُ من مصدر دبلوماسي غربي أن وزير خارجية أوغندا (كيبادي) حاول الانتحار بعد محادثته مع السفير الإسرائيلي في كامبالا. وإذا تمكنتُ من التحقق من هذا الخبر، فسأحاول إجراء محادثة مماثلة مع أمين على أمل أن يفعل الشيء نفسه وينجح. (كان ذلك مجرد مزاح)». ((د. لاؤور)، سفارة كامبالا إلى وزارة الخارجية، 29.3.1972، ISA 5298/5 [سري]). وفي برقية أخرى: «تهانينا — أمين تزوّج للمرة الخامسة. خمس أرامل محتملات». (د. لاؤور)، السفير في كامبالا إلى المدير العام لوزارة الخارجية ومساعد وزير الدفاع وضابط الأمن... 27.3.1972، ISA 5299/31 [سري، عاجل للغاية].
[583] كتب وزير الخارجية (إيبان) إلى سفارة كامبالا عشية عيد الفصح: « وخاصة في عيد الحرية هذا [اسم آخر لعيد الفصح] أشعر بثقل الأجواء والواقع الذي تعيشون وتعملون فيه. أودّ أن أكرر لكم التعبير عن إعجابي واحترامي لموقفكم. أطيب التحيات وأصدق الأمنيات لجميع الإسرائيليين. سيأتي يوم نخرج فيه من الظلام إلى النور، حتى في هذا المجال». (وزير الخارجية (آبا إيبان) إلى سفارة كامبالا، 28.3.1972، ISA 5298/5 [سري للغاية]).
[584] «أفيكومان» — إشارة إلى آخر قطعة طعام (المَصّات) تُؤكل تقليديًا في ختام وجبة عيد الفصح الطقسية؛ باشان، قسم الأمن — مساعدة إلى (د. لاؤور)، السفير في كامبالا، 24.3.1972، ISA 5298/4 [سري].

[585] سفارة كامبالا إلى وزارة الخارجية، 28.3.1972، ISA 5298/5 [سري، عاجل للغاية].

[586] غادر جميع الإسرائيليين ومعظم المعدات المملوكة للشركات الخاصة أوغندا بعد تنسيق مُرهق، وكثيرٍ من الرشاوى، ووسائل أخرى غير قانونية ((د. لاؤور)، سفارة كامبالا إلى وزارة الخارجية، 10.4.1972، ISA 5299/31 [سري، عاجل]). وعن عملية «أفيكومان» انظر: (د. لاؤور)، السفير في كامبالا إلى المدير العام لوزارة الخارجية ومساعد وزير الدفاع وضابط الأمن... 27.3.1972، ISA 5299/31 [سري، عاجل للغاية]؛ (د. لاؤور)، السفير في كامبالا إلى وزارة الخارجية و (كيدرون)، ضابط الأمن، 30.3.1972، ISA 5299/31 [سري، عاجل للغاية]؛ (د. لاؤور)، السفير في كامبالا إلى وزارة الخارجية ومساعد وزير الدفاع، العقيد براون، 25.3.1972، ISA 5298/6 [سري، عاجل للغاية]؛ (د. لاؤور)، السفير في كامبالا إلى وزارة الخارجية ومساعد وزير الدفاع، العقيد (براون)، 25.3.1972، ISA 5298/4 [سري، عاجل للغاية]؛ المقدم (أ. راز) إلى المدير العام لوزارة الخارجية، بعنوان «عملية أفيكومان»، 2 أغسطس 1972؟، ISA 5298/4؛ (د. لاؤور) ، السفير في كامبالا إلى وزارة الخارجية، القدس، 31.3.1972، ISA 5298/5 [سري، عاجل للغاية]؛ (د. لاؤور)، السفير في كامبالا إلى وزارة الخارجية، القدس، 3.4.1972، ISA 5298/6 [سري، عاجل للغاية]؛ (باشان)، قسم الأمن — مساعدة إلى المدير العام لوزارة الخارجية، 25.3.1972، ISA 5298/4 [سري]؛ (باشان)، قسم الأمن — مساعدة إلى سفارة نيروبي، 25.3.1972، ISA 5298/4 [سري]؛ (د. لاؤور)، السفير في كامبالا إلى وزارة الخارجية، القدس، 24.3.1972، ISA 5298/4 [سري، عاجل للغاية]؛ (د. لاؤور) ، السفير في كامبالا إلى وزارة الخارجية، القدس، 23.3.1972، ISA 5298/4 [سري للغاية، عاجل للغاية].

وقد قامت معظم الشركات الخاصة، ولا سيما (حيرام–زئيفي) ، بإخلاء معداتها إلى كينيا باستخدام الرشاوى وبمساعدة الموساد. وعن (زئيفي) انظر: (ر. دافني) ، سفارة نيروبي إلى وزارة الخارجية، القدس، 12.4.1972، ISA 5384/21 [سري، عاجل للغاية].

وأحرقت جميع الوثائق السرية أو أرسلت في رحلات خاصة لطيران ا العال إلى إسرائيل (وزارة الخارجية إلى سفارة كامبالا، 31.3.1972، ISA 5299/31 [سري، عاجل]؛ (د. لاؤور) ، السفير في كامبالا إلى وزارة الخارجية ومساعد وزير الدفاع، العقيد (براون)، 25.3.1972، ISA 5298/6 [سري، عاجل للغاية]).

ونتيجةً للأمل في استعادة العلاقات خلال وقت قصير، بقي رؤساء بعثات وزارة الخارجية والموساد ووزارة الدفاع في نيروبي ((ح. بار-أون) ، المدير العام للدائرة الإفريقية بوزارة الخارجية إلى (باريلف)، بعثة الجيش، و (شوهام)، بعثة الشرطة، سفارات نيروبي وكامبالا، 26.3.1972، ISA 5298/5 [سري، عاجل للغاية]).

صفحة 147

مع مغادرة الإسرائيليين، اتسعت الأنشطة العربية– الأوغندية بسرعة، وأطلقت حملة واسعة هدفت إلى تشويه صورة إسرائيل عبر خطابات وتصريحات عيدي أمين العلنية.[587]

[587] في يونيو، زار أمين تسع دول عربية، وأدلى بالتصريحات المتوقعة بشأن وعود بالمساعدة، والأخوّة الإسلامية، ومواقف متطرفة معادية لإسرائيل. وادّعى أمين، لدى عودته إلى كامبالا، أنه تلقى وعودًا بمساعدات تبلغ 40 مليون جنيه إسترليني. كما وُقّعت اتفاقيات دفاع مع ليبيا والسودان ومصر.

وفي 21 سبتمبر 1972، وخلال المعارك بين أوغندا وتنزانيا، نقلت طائرات ليبية أسلحة وذخائر ونحو 400 جندي إلى أوغندا. ثم هدّد أمين بتدمير عاصمة رواندا (كيغالي) إذا لم تُرحِّل «آلاف المرتزقة الإسرائيليين» الذين — بحسب زعمه — يقوّضون نظامه.

وعمد أمين إلى اتهام الدول والمسؤولين الذين عدّهم أعداءه بالتعاون مع إسرائيل، و اتخذ ذلك ذريعة لتصعيد التوترات معهم وفرض مطالب مختلفة عليهم. وكا ن هذا الحال واضحًا في حالة رواندا؛ إذ كان أمين قد استخدم سابقًا صداقة إسرائيل للوساطة في نزاعات معها. غير أنه، بعد قطع العلاقات مع إسرائيل، اتهم رواندا بأنها «عميل صهيوني» ، وطالبها بقطع علاقاتها مع إسرائيل فورًا. وكان جليًا أن هدفه الحقيقي هو الضغط على الروانديين للامتثال لمطالبه الأخرى — وهي سلسلة تنازلات في العلاقات الثنائية مع أوغندا لا علاقة لها بإسرائيل.

(انظر: سفارة نيروبي، كينيا إلى مكتب وزارة الخارجية، القدس، 17.8.1972، 2/5298 [سري، عاجل للغاية]؛ سفارة نيروبي في كينيا إلى المدير العام لوزارة الخارجية، 23.8.1972، 2/5298 [مصنّف، عاجل للغاية]؛ وزارة الخارجية، القدس إلى السفارة في كينيا، نيروبي، 23.8.1972، 2/5298 [سري، عاجل للغاية]؛ (أ. أو. سوفر)، السفير الإسرائيلي لدى الأمم المتحدة، نيويورك، إلى وزارة الخارجية، القدس، 23.8.1972، 2/5298 [سري، فوري]؛ السفارة في كينيا، نيروبي إلى مكتب وزارة الخارجية، القدس، 23.8.1972، 2/5298 [سري، فوري]؛ السفارة الإسرائيلية في كينيا، نيروبي إلى وزارة الخارجية، 24.8.1972، 2/5298 [سري، عاجل للغاية]؛ وزارة الخارجية، القدس إلى السفارة في كينيا، نيروبي، 24.8.1972، 2/5298 [سري، عاجل للغاية]؛ السفارة في الكونغو، كنشاسا، إلى وزارة الخارجية، 24.8.1972، 2/5298 [سري، عاجل للغاية]؛ السفارة في كينيا، نيروبي إلى وزارة الخارجية، 24.8.1972، 2/5298 [سري، عاجل للغاية]؛ السفارة في كينيا، نيروبي إلى وزارة الخارجية، 24.8.1972، 2/5298 [سري، عاجل للغاية]؛ وزارة الخارجية، القدس إلى السفارة في بلجيكا، بروكسل، 25.8.1972، 2/5298 [سري، فوري]؛ السفارة في كينيا، نيروبي إلى وزارة الخارجية، 28.8.1972، 2/5298 [سري، فوري]؛ السفارة في كينيا، نيروبي إلى وزارة الخارجية، 28.8.1972، 2/5298 [سري، فوري]؛ السفارة في الكونغو، كنشاسا إلى وزارة الخارجية، 27.8.1972، 2/5298 [سري]؛ السفارة في كينيا، نيروبي إلى وزارة الخارجية، 29.8.1972، 2/5298 [سري، فوري]؛ وزارة الخارجية، القدس إلى السفارة في الكونغو، كنشاسا وبرازافيل، 28.8.1972، 2/5298 [غير مصنّف]؛ السفارة في كينيا، نيروبي إلى وزارة الخارجية، 30.8.1972، 2/5298 [سري، عاجل للغاية]؛ السفارة في الكونغو، كنشاسا إلى وزارة الخارجية، 30.8.1972، 2/5298 [سري]؛ السفارة في تنزانيا، دار السلام، إلى وزارة الخارجية، القدس، 31.8.1972، 2/5298 [سري، عاجل للغاية]؛ السفارة في كينيا، نيروبي إلى وزارة الخارجية، القدس، 31.8.1972، 2/5298 [سري، عاجل للغاية]؛ السفارة في كينيا، نيروبي إلى وزارة الخارجية، القدس، 31.8.1972، 2/5298 [سري]؛ وزارة الخارجية، القدس إلى السفارة في كينيا، نيروبي، 31.8.1972، 2/5298 [سري]؛ وزارة الخارجية، القدس إلى السفارة في كينيا، نيروبي، 31.8.1972، 2/5298 [سري]؛ وزارة الخارجية، القدس إلى السفارة الإسرائيلية في كينيا، نيروبي، 31.8.1972، 2/5298 [سري، فوري]؛ وزارة الخارجية، القدس إلى السفارة الإسرائيلية في بلجيكا، بروكسل، 1.9.1972، 2/5298 [سري]؛ السفارة في كينيا، نيروبي إلى وزارة الخارجية، القدس، 1.9.1972، 2/5298 [سري، فوري]).

صفحة 148

في يوليو 1972 ، وخلال زيارة وفد منظمة التحرير الفلسطينية إلى كامبالا، أعلن عيدي أمين تخصيص منزل السفير الإسرائيلي مقرًا للمنظمة. غير أن أكثر أفعال أمين تطرفًا كان برقيته (11 سبتمبر) إلى الأمين العام للأمم المتحدة، التي برّر فيها الإبادة الجماعية لليهود على يد هتلر. وقد أثارت هذه الرسالة ردود فعل غاضبة في أنحاء العالم كافة، بما في ذلك إفريقيا، وعزا بعضهم هذه الخطوة إلى عدم استقراره النفسي.[588]

وفي مايو 1972 بدأ أمين يهدد إسرائيل بعمل عسكري مباشر، قائلاً إنه مستعد لإلحاق الهزيمة بالجيش الإسرائيلي «خلال يومين».[589] كما مارس ضغوطًا عدوانية على الشركات الأجنبية العاملة في أوغندا كي لا توظّف أي عمال يهود[590]، وأطلق حملة إفريقية شاملة ضد إسرائيل. فعلى سبيل المثال، خلال محادثات أمين في أديس أبابا في يونيو 1973 ، نقل إلى الإثيوبيين عرضًا ليبيًا يقضي بوقف المساعدة لإريتريا فورًا مقابل قطع العلاقات أو على الأقل تقليص الوجود والنشاط الإسرائيليين في إثيوبيا.[591]

ولم تُدرك إسرائيل حقيقة حليفها الإفريقي القديم إلا بعد وقوع الطلاق بينها و بينه، أثناء محاولتها التصدي لتصريحاته العلنية العدوانية المناهضة لإسرائيل، حيث خلصت إلى أنه كان في الواقع:

«...شخصية فريدة، منعدمة المبادئ العقلانية والأخلاقية، ولا تعرف الولاء للأصدقاء، ولا تحترم القانون الدولي ولا أبسط قواعد اللياقة.»[592]

أما شخصية أمين فكانت: غير مستقرة، شديد ة الارتياب، اندفاعية، راديكالية في أفعالها، وعديمة الضمير تجاه من يعارضونه. وقد صفّى معارضيه في الدولة بالمئات.[593]

هوامش

[588] فضلًا عن ذلك، ومنذ ترحيل الإسرائيليين من أوغندا، أقدم أمين على سلسلة من الأفعال الغريبة التي أثارت سخط الرأي العام العالمي، وأثبتت أن أزمة العلاقات بين إسرائيل وأوغندا كانت ناجمة عن أمين لا عن أفعال إسرائيل. وشملت هذه الأفعال: ترحيل الآسيويين؛ ترحيل بعثة الجيش البريطاني بزعم أنها كانت تخطط لاغتياله؛ ترحيل السفير البريطاني؛ اندلاع المعارك في منتصف سبتمبر بين أوغندا وتنزانيا وقصف مدن تنزانية؛ اتهامات وهمية ادّعى فيها أن بريطانيا والهند وإسرائيل وزامبيا وتنزانيا تعمل يدًا بيد ضدّه؛ إضافة إلى الاتهامات المتواصلة بارتكاب مذابح جماعية وقاسية بحق القبائل التي عارضته، وقتل العديد من المسؤولين الأوغنديين (انظر تقرير (عوديد)، إدارة إفريقيا بوزارة الخارجية، 6.11.1972، ISA 5298/7 [سري]).

[589] سفارة أديس أبابا إلى وزارة الخارجية، 27.5.1972، ISA 5298/7 [سري، فوري].

[590] الموساد إلى وزارة الخارجية، 2.4.1972، ISA 5299/31 [سري، فوري].

[591] أديس أبابا إلى وزارة الخارجية، 20.6.1973، ISA 5319/11 [سري].

[592] مسح حول إفريقيا، وزارة الخارجية، سبتمبر 1972، ISA 5311/6.

[593] (عوديد) إلى مدير إدارة إفريقيا بوزارة الخارجية، 27.3.1972، ISA 5299/31 [سري].

بعد قطع العلاقات، طالبت إسرائيل أوغندا بسداد الديون المستحقة عليها فورًا.[594] وفي غضون ذلك، كانت إسرائيل تعمل على عرقلة مساعي أوغندا للحصول على قرض كبير من البنك الدولي.[595] كما أمرت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بمواصلة جمع المعلومات عن أوغندا وعن عيدي أمين، لتوظيفها في حملة الدعاية العالمية المناهضة لأمين التي كان الموساد قد أطلقها (العملية «هورما»).[596]

مزيد من تدهور العلاقات

ورغم المفاجأة التي فاجأت بها تحركات أمين المنظومة الإسرائيلية، فإن إسرائيل رأت في الشأن الأوغندي خسارةً كبرى مؤسفة للغاية، لكنها مع ذلك اعتبرته حادثةً استثنائية لن تؤثر في القارة بأسرها." [597]

واستندت إسرائيل في هذا التقدير إلى مظاهر الاستغراب والاعتراض التي همس بها مسؤولون أمنيون وسياسيون افارقة في آذان نظرائهم الإسرائيليين إزاء خطوة أمين. وهؤلاء أنفسهم قللوا من شأنها لأنهم لم يروا في أمين زعيمًا أفريقيًا محوريًا.[598] وأبدى دبلوماسيون أجانب وضباط استخبارات وصحفيون آراءً مشابهة.[599]

وردًا على سؤال وُجّه إليه في الكنيست، قال وزير الخارجية (إيبان): "لم تحذُ أي دولة أفريقية أخرى حذو الحكومة الأوغندية، بل إن عدد الطلبات الموجهة إلى إسرائيل للتعاون في أنشطة مع دول أفريقية أخرى آخذ في الازدياد".[600] كما قدّم (إيبان) إلى الكنيست أرقامًا مشكوكًا فيها لحجم الدين الأوغندي المستحق لإسرائيل.[601]

هوامش

[594] (عوديد) ، إدارة إفريقيا بوزارة الخارجية، إلى الإدارة التنفيذية بإدارة إفريقيا، 27.7.1973، ISA 5298/7.

[595] نافيه، السفارة في واشنطن إلى وزارة الخارجية، ISA 5298/9 [سري]؛ (عوديد)، إدارة إفريقيا (أ) بوزارة الخارجية إلى الإدارة التنفيذية بإدارة إفريقيا، 27.7.1973، ISA 5298/7.

[596] (عوديد) ، إدارة إفريقيا (أ) بوزارة الخارجية إلى سفارة كيغالي، 11.10.1972، ISA 5298/2 [سري]؛ السفير في أديس أبابا إلى وزارة الخارجية، 3.6.1972، ISA 5298/9 [سري]. انظر أيضًا فقرة «العمليات الرئيسية» في الفصل التاسع.

[597] كانت إسرائيل تعتقد أنه رغم تزايد الإدانات في المنتديات الإفريقية والدولية من جانب دول إفريقية، فإن العلاقات الثنائية كانت جيدة: « إن التعاون الأمني يُعد تعبيرًا رمزيًا عن مقدار الثقة التي نحظى بها، كما أن العلاقات التجارية والاقتصادية، والعلاقات الشخصية في الميدان نفسه وفي الصحافة الإفريقية، جيدة وتتطور بالاتجاه الذي نريده. أما التآكل، إن وُجد، فهو سياسي [في الساحة الدولية]». (مدير إدارة إفريقيا بوزارة الخارجية إلى (م. ليشيم)، بعثة إسرائيل إلى الأمم المتحدة – نيويورك، 31.12.1970، ISA 4634/4 [شخصي]).

[598] (دنر)، كنشاسا إلى وزارة الخارجية، 28.3.1972، ISA 5298/5 [سري، عاجل].

[599] (إ. أنجل)، الموساد إلى (م. شاليف)، إدارة إفريقيا بوزارة الخارجية، مقر الموساد، دون تاريخ، PC [سري للغاية، للمخاطَب فقط]؛ وانظر مثلًا تقرير (إ. أنجل) من إثيوبيا إلى (م. شاليف)، إدارة إفريقيا بوزارة الخارجية، PC [سري، عاجل].

[600] مذكرة تنقل ردّ وزير الخارجية (آبا إيبان) على الاستجواب الرسمي رقم 4438، ...، ISA 5309/9.

[601] نشأ هذا الدَّين أساسًا نتيجة شراء الأسلحة وغيرها من المنتجات العسكرية. وتتعارض هذه المعطيات مع الأرقام التي جُمعت لأغراض هذا البحث، كما يَظهر في تقرير قدّمه مشرف النقد الأجنبي في وزارة المالية. وتُبيّن مقارنة هذه الأرقام أن (إيبان) قدّم أرقامًا أقل من حجم الدين الأوغندي الحقيقي.

(للاطلاع على الأرقام التي أدلى بها (إيبان)، انظر: (آبا إيبان) ، وزير الخارجية، بعنوان «ردّ وزير الخارجية (آبا إيبان) على السؤال رقم 4634»، بتاريخ 4.7.1972، ISA 52987 [غير مصنّف]؛ وللأرقام التي قدّمتها وزارة المالية، انظر: (د. كانترفيتز)، مشرف النقد الأجنبي في وزارة الماليـة إلى المدير العام لوزارة الخارجية، بعنوان «مطالبات إسرائيل من أوغندا»، بتاريخ 6.6.1972، ISA 52987 [غير مصنّف]).

صفحة 150

وعلى المنوال نفسه تقريبًا، طمأن كبير مساعدي وزير الدفاع، والرئيس السابق لأركان الجيش (تسور)، أعضاءَ الكنيست في اللجنة البرلمانية للشؤون الخارجية والأمن قائلًا:

« هل أتوقع كارثة؟ كلا. وهل لقضية أوغندا تبعات مباشرة على بعثاتنا العسكرية الثلاث؟ لا أعتقد ذلك».[602]

وقد ثبت أن جميع هذه التقديرات كانت خاطئة. [603]

ومن خلال تحليل تعليقات نظرائهم الافارقة، توصّل المسؤولون الإسرائيليون إلى أسباب إضافية تفسّر النجاح العربي، إلى جانب الفوائد المادية التي قدّمتها ليبيا ونمط التصرف الإسرائيلي المشبوه كما ظهر في حالة أوغندا، وهي:

(1) منذ عام 1967، لم تعد إسرائيل كما كانت دولة من العالم الثالث مساويةً في المرتبة للدول الأفريقية. ولم تعد تُصوَّر على أنها دولة فقيرة، بل كقوة عظمى، لا تختلف عن البيض الآخرين. علماً بأن إسرائيل، في حرب يونيو 1967، احتلت أراضي أفريقية، وحتى لو كان بعض القادة الافارقة مستعدين لتفهم خلفيات أفعال إسرائيل، فإن معظمهم لم يكن مستعدًا لتجاهل مبدأ مقدس: وهو عدم المساس بالحدود.

(2) أما المساعدات التي قدّمتها إسرائيل، فعلى الرغم من مميزاتها البارزة، لم تُلبِّ التوقعات الأفريقية.[604

هوامش

[602] محضر جلسة لجنة الشؤون الخارجية والأمن في الكنيست (البرلمان الإسرائيلي)، 18.7.1972، ISA 5309/15 [سري].

[603] في الواقع، قطعت جميع الدول الأخرى علاقاتها مع إسرائيل كما فعل الرئيس أمين، غير أنها فعلت ذلك بهدوء أكبر، مع إبداء تعاطف صادق، بل والاعتذار أحيانًا عن سلوك هذا المسار. وقد أوضح الممثلون الا فارقة أنهم لم يعودوا قادرين على تحمّل الضغط العربي.

[604] خلاصة اجتماع بين رئيسة الوزراء (جولدا مائير) والرئيس (بوينيه) بتاريخ 17-01-1973، بعنوان «الوضع الأفريقي–الإسرائيلي»، 26.1.1973، ISA 53104 [سري للغاية]؛ مقابلة مع (آفي-عاد).

صفحة 151

جَرَى قطع العلاقات في معظم الحالات بأسلوب بالغ اللطافة والتهذيب. بل إن الدولة المضيفة في بعض البلدان طلبت تحديدا أن يواصل خبراء وكالة التعاون الدولي (ماشاف)، والشركات التجارية، وعملاء الموساد نشاطهم.[605] وظلّت هذه القنوات هي الوسيلة التي واصلت إسرائيل من خلالها أنشطتها في أفريقيا خلال السنوات التالية. كما جرى إبرام ترتيبات سرية مع بعض الدول لإجراء مفاوضات واتصالات مستقبلية مع إسرائيل.[606]

بذلت إسرائيل جهودًا لمواجهة هذا الانهيار. حيث أشرف الموساد و (الشاباك) على عمليات الإجلاء من أفريقيا. كما جرى تشكيل إطار تنسيقي خاص ضمّ جميع الجهات المعنية بالملف الافريقي، بهدف تعزيز الجهود الإسرائيلية في القارة — وهو أول إطار من هذا النوع يُفعَّل منذ سنوات. [607] وقد بادر هذا الإطار إلى سلسلة من الإجراءات، شملت: تقديم مساعدات مالية وعسكرية سرية إضافية لدول أكثر تعاطفًا، مثل

تشاد؛ [608] وتقديم مساعدات واسعة في إطار (ماشاف)؛ [609] وإرسال رسائل شخصية من رئيسة الوزراء (مائير)؛ [610] وطلب المساعدة من (الولايات المتحدة) [611] و ألمانيا ؛ وتنظيم جولات خاصة لوزراء إسرائيليين في أفريقيا؛ [612] وتشكيل فريق خاص في الأمم المتحدة للتواصل مع السفراء الافارقة، بدلًا من السفارات التي أغلقت. [613]

وعندما تبيّن أن أوغندا لم تكن آخر دولة تطرد الإسرائيليين من أفريقيا، حاولت حكومة (الولايات المتحدة) مساعدة إسرائيل في التواصل مع القادة الأفارقة [614]، وأعربت عن قلقها إزاء الهزيمة الإسرائيلية [615]، مع الإشارة إلى الفارق بين السلوك غير المتوقع والمتقلّب لأمين، وسلوك قادة أفارقة آخرين أكثر اعتدالًا. [616]

هوامش:

[605] (ر. دافني)، نيروبي إلى وزارة الخارجية، 13.11.1973، ISA 5384/27 [سري، عاجل للغاية]؛ (أ. روبين) ، رئيس الدائرة الأفريقية (أ) في وزارة الخارجية إلى المدير العام لوزارة الخارجية، 12.12.1973، ISA 5384/27 [سري].

[606] الدائرة الاقتصادية في وزارة الخارجية إلى سفارة نيروبي، 9.11.1973، ISA 5384/27 [سري، فوري].

[607] (ي. شيموني)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية إلى (ن. أدموني)، الموساد، بعنوان «انعقاد المنتدى الأفريقي في 20.4.1972»، 23.4.1972، ISA 5309/9 [سري].

[608] (إ. أفريئيل)، نائب المدير العام لوزارة الخارجية، 27.8.1973، ISA 5310/9 [سري].

[609] وزير الخارجية إلى رئيسة الوزراء، بعنوان «أفريقيا–إسرائيل»، 27.6.1973، ISA 5310/7 [سري].

[610] انظر، على سبيل المثال: رسالة من (جولدا ما ئير)، رئيسة وزراء إسرائيل، إلى (جومو كينياتا)، رئيس جمهورية كينيا، 3.5.1972، ISA 5384/18 [غير مصنّف]؛ وبرقية إلى الإمبراطور (سيلاسي) في: (ح. أينور)، سفارة أديس أبابا إلى وزارة الخارجية، الدائرة الأفريقية (1)، القدس، 21.5.1973، ISA 5298/10 [سري، فوري]؛ ورسالة (ما ئير) إلى (موبوتو)، سفارة كينشاسا إلى الدائرة الأفريقية في وزارة الخارجية، القدس، 8.4.1972، ISA 5298/6 [سري، فوري]؛ (م. غازيت) ، المدير العام لوزارة الخارجية إلى (آبا إيبان)، وزير الخارجية، بعنوان « رسائل إلى رؤساء أفريقيا»، 14.4.1972، ISA 5309/9 [عاجل].

[611] وزارة الخارجية، القدس، إلى سفارة بون، 19.10.1973، ISA ... [سري، فوري].

[612] (آبا إيبان)، وزير الخارجية، إلى (ي. شيموني)، المدير العام لوزارة الخارجية (بشأن وسائل العلاقات العامة لمواجهة تدهور العلاقات مع أفريقيا)، 2.1.1972، ISA 5309/9 [سري].

[613] (س. هوفر) ، سفارة أديس أبابا إلى وزارة الخارجية، الدائرة الأفريقية، بعنوان «إغلاق جامعة أديس أبابا وأعمال الشغب في المدينة»، 4.4.1968، ISA 4175/13.

[614] (ر. دافني) ، سفير نيروبي إلى المدير العام للدائرة الأفريقية في وزارة الخارجية، 26.4.1972، ISA 5298/9 [سري، فوري]؛ (ي. شيموني) ، نائب المدير العام للدائرة الأفريقية في وزارة الخارجية إلى (م. شاليف)، مبعوث واشنطن العاصمة، بعنوان « رؤساء أفريقيا في الولايات المتحدة»، 19.9.1973، ISA 5310/9 [سري].

[615] (رابين)، واشنطن العاصمة إلى (غازيت)، مكتب المدير العام لوزارة الخارجية، القدس، 28.3.1972، ISA 5298/5 [سري للغاية، عاجل].
[616] جرى التمييز بين الرئيس أمين و (موبوتو) (ديفيد د. نيومان) إلى السفير (بورتر)، مذكرة عمل لوزارة الخارجية بعنوان «موبوتو وإسرائيل»، 17.5.1973، NARA NND 969032 [سري]].

صفحة 152

أدّى سقوط إسرائيل في أفريقيا وعدم قدرتها على توقُّعِه إلى مطالبة بعض المسؤولين في الجهات المعنية المختلفة بتشكيل لجنة تحقيق خاصة للتقصّي في هذه القضية.[617] غير أنّ لجنةً من هذا القبيل لم تُشكَّل قط؛ إذ عارض ذلك كلٌّ من الموساد ووزارة الدفاع والجيش الإسرائيلي، بينما كانت الشخصيات البارزة في وزارة الخارجية غارقةً في الإحباط واليأس إلى درجةٍ أفقدتهم حتى الحافز للتمسك بفكرة تشكيلها.

الخلاصة

في الفترة بين 1972 و1974 ، تلقّت إسرائيل ضربةً موجعة لمكانتها الدولية، إذ واجهت منعاً قاطعاً وعلنياً من العودة إلى عشرات المواقع التي بدت راسخةً كموطئ قدم سياسي واستراتيجي في العالم الثالث. و من المفارقة أنه كلما اجتهدت إسرائيل في تقديم نفسها للغرب—والولايات المتحدة على وجه الخصوص—بأنها «قوة عظمى» في الساحة الأفريقية وخطّ الدفاع الأخير في وجه التوسع السوفيتي، كلما تعمّق حرجها حين اتضح أن أقرب حلفائها يستطيعون قطع العلاقات معها بمجرد برقية.

لقد أثبتت سلسلة قطع العلاقات، بما لا يدع مجالاً للشك، أن كثيراً من الدول الأفريقية لم تجد حرجًا في التعايش مع الفجوة بين مواقفها العلنية المؤيدة للعرب وعلاقاتها الثنائية — وغالبًا السرية — مع إسرائيل، لكنها كانت، في المقابل، شديدة التأثر بالضغوط الدولية و رغبتها في الانضواء تحت الإجماع الأفريقي.
ويُستخلص من ذلك أن العلاقات القائمة على مصالح قصيرة الأجل (كالتدريب العسكري واستيراد السلاح) أو منافع مادية (كرشاوى)، مهما بلغت من متانة ظاهرية، تبقى قابلة للانهيار متى ما برز طرف ثالث يقدّم عروضاً أحسن قليلاً.

هوامش

[617] (كيدرون) نائب المدير العام في وزارة الخارجية إلى (مدير عام وزارة الخارجية)، 7.5.1972، أرشيف الدولة الإسرائيلي ISA 5248/7 [سري]؛ د. (ي. إيلسر)، مدير دائرة التاريخ في وزارة الخارجية إلى (أ. كيدرون)، المدير العام لوزارة الخارجية (بشأن قطع الدول الأفريقية علاقاتها مع إسرائيل)، 2.11.1973، ISA 5311/2 [غير مصنّف]؛ د. (ي. إيلسر)، مدير دائرة التاريخ في وزارة الخارجية إلى (ي. شيموني)، نائب المدير العام في وزارة الخارجية، بعنوان «العلاقات الإسرائيلية–الأفريقية»، 13.11.1973، ISA 5311/2 [غير مصنّف].

صفحة 153

تظافرت أسبابٌ متعددةٌ لتؤدي إلى انهيار مكانة اسرائيل في أفريقيا في ذلك التوقيت بالذات. بعضها مرتبط بالجهود المكثفة التي بذلتها الدول العربية لتقويض إسرائيل، وبعضها الآخر ناجم عن التغير في المكانة الدولية لإسرائيل في أعقاب حرب 1967، بينما يعود جزء ثالث إلى ممارسات إسرائيلية مشبوهة في أفريقيا (مثل التقارب مع عيدي أمين، والوعود غير المنجزة)، وغير ذلك. وكون هذا التحول الشامل قد فاجأ إسرائيل يجعل منه — بحق — إخفاقًا استخباراتيًا. وهذا الإخفاق ليس منفصلاً عن عوامل مهمة أخرى تتعلق بتقديرات إسرائيل وأدائها، وعلى رأسها: القدرة على فهم السياسة الأفريقية، و ذلك الإحساس بالثقة المفرطة بالنفس الذي طبّع السلوك الإسرائيلي في مطلع السبعينيات، إثر الازدهار الأولي للعلاقات.

غير أن السؤال يظل قائمًا: هل يشير قطع العلاقات — الذي بدا في حينه (خاصة في عيون الإسرائيليين أنفسهم) كارثيا — إلى فشل الحملة بأكملها؟ يخلص هذا البحث إلى أن الإجابة على هذا السؤال بالنفي.

لا شك أن إسرائيل لم تكن تتوقع انهيار مبادرتها الأفريقية. بيد أن نهايتها المؤسفة لا تُقلل من حجم المكاسب التي حصدتها إسرائيل حتى ذلك الحين؛ وهي إنجازات كانت بالغة العمق وشاملة لكل المجالات: السياسية والعسكرية والاستخباراتية والمالية والدولية. بل إن هذه القطيعة المفاجئة تكذب أن تلك العلاقات، حين كانت قائمة، كانت قوية وحميمة بالفعل. لكن هشاشة هذا القرب وتلك الحميمية لا تنفي أن العلاقات ارتكزت أيضًا على مصلحة متبادلة؛ فما إن تحوّلت مصلحة أحد الطرفين إلى وجهة أخرى، حتى انتهت العلاقة.

أُصيبت المؤسسة الدبلوماسية والأمنية الإسرائيلية بالذهول خلال مرحلة الانهيار الأفريقي وفي أعقابها. وكان منظر كبار مسؤولي الموساد ووزارة الدفاع والخارجية والجيش— الذين كانوا قد تقلّدوا للتو مناصب رفيعة في أفريقيا قبل أن يعودوا خاليي الوفاض يتسكعون بين المقرات في إسرائيل باحثين عن عمل— يُغرق الأجواء بأكملها في مناخ من الكآبة.[618] بيد أن حالة الذهول هذه لم تدم طويلا؛ فسرعان ما تكيّفت إسرائيل مع الواقع المتغير وحوّلت بصرها نحو جنوب أفريقيا.[619]

هوامش

[618] مقابلات مع (يوري لوبراني) و(ميرهاف). انظر الجزء الثالث من هذا البحث.

[619] انظر الجزء الثالث من هذا البحث.

صفحة 154

و الحصيلة النهائية هي انه على الرغم من أن الميزان الكلي للحملة الإسرائيلية في أفريقيا يميل إلى الفشل، فإن الصورة التي تكشفت للفترة 1972-1974 هي صورة تراجع تكتيكي أكثر منها انهيار استراتيجي. والدليل على ذلك استمرار علاقات استخباراتية قوية مع دول أفريقية عديدة[620]، بل وتوسيع النشاط التجاري الخاص (و مجال الإنشاءات تحديدًا) في القارة.

كما أن التغيرات التي طرأت على خريطة القوى في الشرق الأوسط نتيجة اتفاق السلام الإسرائيلي-المصري وعوامل أخرى، قلّلت من أهمية أفريقيا بوصفها هدفًا إسرائيليًا. فبينما ظلّ الهمّ الدبلوماسي الإسرائيلي

منصبًا على كسر الحصار الدولي، تخلّت المؤسسة الأمنية عن الرغبة في استثمار الموارد ذاتها لإعادة بناء الجسور مع القارة. وبفقدانها هذه الورقة الرابحة، وجدت وزارة الخارجية نفسها وقد تضاءلت أوراقها التفاوضية ولم يعد لديها ما تقدمه. ومن ثمّ، فشلت إسرائيل في اختبار قدرتها الحقيقية على استعادة العلاقات المقطوعة بشروط الستينيات. وعندما عرضت دول أفريقية تجديد العلاقات مقابل حزمة عسكرية واستخباراتية ضخمة، آثرت إسرائيل التملص من هذا العرض[621].

ولكن عندما غيّرت موقفها أخيرًا (مع إثيوبيا في أواخر السبعينيات ودول أفريقية أخرى في مطلع الثمانينيات)[622]، ودُعمت هذه المحاولة بحماسة المؤسسة الأمنية، كانت النتائج ناجحة.

هوامش

[620] حافظ الـ موساد على بعثاته في كينيا وزائير وساحل العاج، ومن خلالها مع العديد من دول القارة الأخرى.

[621] كان هذا هو الحال مع ليسوتو (انظر: (غونين)، جوهانسبرغ إلى إدارة أفريقيا بوزارة الخارجية، القدس، 9.11.1973، ISA 5311/2).

[622] انظر أدناه ضمن قسم «ما بعد الانهيار الكبير».

صفحة 155